رد شبهات المستشرق وات

فيما أثاره عن صلح الحديبية وفتح مكة

إعداد الدكتور

إبراهيم بن يوسف بن سيف الأغبري

قسم المتطلبات العامة، كلية العلوم الشرعية،

مسقط، سلطنة عمان

رد شبهات المستشرق وات فيما أثاره عن صلح الحديبية وفتح مكة

إبراهيم بن يوسف بن سيف الأغبري

قسم المتطلبات العامة، كلية العلوم الشرعية، مسقط، سلطنة عمان.

البريد الإلكتروني: ialagbri@css.edu.om

الملخص:

لقد كتب المستشرقون عن غزوات النبي -ﷺ-، فمنهم من كان منصفًا في دراسته لتلك الغزوات، غير أن الغالب منهم كانوا غير منصفين، فوصفوا حروب النبي -ﷺ-بأنها نوعًا من الإغارة هدفها السلب والنهب وغايتها السيطرة وبسط النفوذ وإقامة الدولة السياسية، ومن هؤلاء المستشرق مونتجومري وات الذي طعن في أغلب الغزوات النبوية، وأثار شبهات عديدة حول صلح الحديبية وفتح مكة، ومن أسباب اختيار الموضوع أنه يتتبع شبهات المستشرق وات ويحدد الردودً العلمية عليها، وتكمن أهمية الموضوع في التعرف على تلك الشبهات ودراستها وإيجاد الوسائل الملائمة للرد عليها، وجاء البحث ليطرح سؤالين مهمين. ما الشبهات التي أثارها وات حول صلح الحديبية وفتح مكة؟ وكيف يمكن الرد عليها من خلال السيرة النبوية ونظرة وآراء علماء الأمة؟ وسلك الباحث المنهج التاريخي في ذكر ترجمة عن وات وأهم الآراء التي جاء بها حول الغزوات النبوية، والمنهج الوصفي في تتبع النصوص الواردة في الشبهات التي أثارها ، والمنهج التحليلي لدراسة تلك النصوص و تفسيرها ، وجاء البحث مقسمًا إلى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول لمحة عن الاستشراق و المستشرقين وما أثارته من شبهات عن غزوات النبي -ﷺ- ، والمبحث الثاني جاء عن التعريف بمونتجومري وات والشبهات التي أثارها عن صلح الحديبية و الرد عليه، أما المبحث الثالث فتعرض للشبهات التي أثارها وات عن فتح مكة، وختم البحث

بخاتمة بينت اهم النتائج التي خلص إليها، ومنها أن وات كان من أشد المستشرقين الذين أثاروا الشبهات حول صلح الحديبية وفتح مكة، و أن الشبهات المثارة لا تستند الى أدلة تاريخية، وإنما تعبر عما يحمله المؤلف من نظرته الخاصة إلى السيرة النبوية.

الكلمات المفتاحية : المستشرقون – مونتجومري – الشبهات – صلح الحديبية – فتح مكة – غزوات.

Refuting the Misconceptions Raised by the Orientalist Watt Regarding the Treaty of Hudaybiyyah and the Conquest of Makkah

Ibrahim bin Yusuf bin Saif Al-Aghbari
Department of General Requirements, College of Shari'a Sciences,
Sultanate of Oman, Muscat.
Email: ialagbri@css.edu.om

Abstract:
Orientalists have extensively documented the Prophet's military campaigns (Ghazawat). While some approached these studies with fairness, the majority were biased, portraying the Prophet's wars as mere raids aimed at plunder, loot, domination, expanding influence, and establishing a political state. Among these orientalists is Montgomery Watt, who challenged the authenticity of most of the Prophet's expeditions and raised numerous misconceptions concerning the Treaty of Hudaybiyyah and the Conquest of Makkah.
The primary motivation for this research is to trace Watt's misconceptions and provide robust academic refutations. The significance of this study lies in identifying and thoroughly examining these misconceptions, subsequently proposing effective methods for their rebuttal.
This research addresses two critical questions: What specific misconceptions did Watt present regarding the Treaty of Hudaybiyyah and the Conquest of Makkah? And how can these be effectively countered using insights from the Prophet's biography (Seerah Nabawiyyah) and the perspectives of prominent Muslim scholars (Ulama)?
The researcher employed a historical methodology to present a detailed biography of Watt and his principal views on the Prophet's military campaigns. A descriptive methodology was utilized to meticulously track the texts related to the misconceptions he raised, followed by an analytical methodology to critically study and interpret these texts.
The research is structured into three main sections:

- The first section offers an overview of Orientalism and Orientalists, focusing on the misconceptions they propagated regarding the Prophet's military campaigns.
- The second section introduces Montgomery Watt, detailing the misconceptions he raised about the Treaty of Hudaybiyyah and providing comprehensive rebuttals.
- The third section examines the misconceptions Watt put forth concerning the Conquest of Makkah.

The research concludes with a summary of its key findings. Notably, it highlights Watt as one of the most prominent orientalists to instigate doubts about the Treaty of Hudaybiyyah and the Conquest of Makkah. Furthermore, it concludes that the misconceptions he presented lack historical evidence and primarily reflect the author's personal interpretations of the Prophet's biography.

Keywords: Orientalists, Montgomery, Misconceptions, Treaty of Hudaybiyyah, Conquest of Makkah, Military Campaigns.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله الذي أكرم العالمين بنبيه، وأعزهم بطاعته، وأرشدهم إلى طريقته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، وعلى آل بيته وصحبه أجمعين.

وبعد:

إن غزوات النبي -ﷺ- ، وما تحمله من فتوحات، وما ارتبط بها من انتشار للدعوة، وما تقدمه من بشائر وعز للإسلام والمسلمين، كان لها أثر واضح على كتابات بعض المستشرقين المغرضين الذين جانبوا الصواب في تحليل أهداف وغايات هذه الغزوات، وكشفوا من خلال مداد أقلامهم ما يحملونه من الحقد والحسد والضغينة الذي حجب عنهم نور الحقيقة؛ فقد سعوا جاهدين بتلك الروح الحاقدة في تشويه ممنهج لوقائع الإسلام الكبرى، ولا عجب في ذلك؛ إذ أن المستشرقين قد وقعوا في حيرة وصدموا حينما اطلعوا على تاريخ الإسلام المشرق، وتبين لديهم أن النبي -ﷺ- قد أنشأ دولته العظيمة في ظروف وأوضاع معقدة، وتمكن في غضون سنوات وجيزة لا تتعدى عشر سنوات من نشر الدعوة الإسلامية داخل الجزيرة العربية، ثم تجاوز حدودها وتطلع في مد جسور دعوته إلى ما وراء أطراف الجزيرة، من أجل ذلك لم يجد المستشرقون تفسيرًا ماديًا يمكنهم من كشف عوامل الانتصارات التي حققها المسلمون في الحروب؛ لأنهم لا يؤمنون إلا بالتفسيرات المادية التي تنسجم مع نظرتهم القاصرة، وقد نسوا أو تجاهلوا أن وراء هذه الانتصارات الكبرى تكمن قوة ربانية، وإمداد إلهي من عند الله ﷻ، يقول ﷻ: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ، وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيم﴾[1].

(١) - سورة الأنفال الآية ١٧.

ونتيجة لعدم قدرة المستشرقين على فهم حقيقة أن غزوات النبي -ﷺ- كانت تحفها العناية الإلهية، فضلاً عما كان يختلج في نفوسهم من الغيض والكراهية، كان من البديهي أن يقوموا بتحريف الغزوات النبوية وتوجيه النقد إليها، والعمل على تشويهها، غايتهم في ذلك طمس الحقائق، وحجب الفضائل عن تلك الغزوات، ففسروا غزوات الرسول -ﷺ-وسراياه على أنها معارك همجية عدوانية، غايتها: الفتك، والقتل، والدمار، والسلب، والنهب،ٱ ووصفوا النبي -ﷺ- بالقاتل والمعتدي على البلاد والعباد، واتهموه بالقائد المستبد الذي يسعى إلى تكوين دولة سياسية يسود بها القبائل ويبسط نفوذه إلى البلد الأخرى مستخدماً كافة الوسائل لتحقيق مشروعه، وغيرها من الافتراءات التي ظل المستشرقون يطلقونها على الغزوات النبوية، وعلى شخصه الكريم -ﷺ- .

وقد انبرى عدد كبير من أهل العلم ومن الباحثين وأصحاب الاختصاص في الذود عن حياض الغزوات النبوية وسراياه، والدفاع عن النبي -ﷺ-إزاء كل ما وجهه المستشرقون من افتراءات وطعون تستهدف تحريف الحقائق ووضعها في غير سياقها للنيل من التاريخ الإسلامي المشرق، كما تتبعوا تلك الاتهامات بالنقد والتحليل وبينوا بطلانها ومجانبتها للحق، والتأكيد أنها جاءت من نفوس تشربت بالحقد والكراهية محاطة بالجهالة العمياء التي أخفت عنها عين الحقيقة، فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خيراً، ونذكر هنا نماذج من الدراسات التي تتبعت افتراءات المستشرقين حول السيرة النبوية وردت عليها.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تعرضت للسيرة النبوية، إذ لم يترك العلماء والباحثون ميدان البحث الاستشرافي خالياً من التفنيد والردود المفحمة، دفاعاً عن الافتراءات التي أطلقها

المستشرقون، وسوف نشير إلى في دراستنا إلى بعض ما كتب في هذا الشأن:

- المستشرقون اليهود وموقفهم من التاريخ الإسلامي – د. أميرة قاسم أبو هاشم.

تناولت الباحثة في دراستها دور اليهود في النشاط الاستشراقي بصورة عامة، وتعرضت في الفصل الثالث للمستشرقين اليهود أمثال جيجر إبراهام وجولد زيهر ودافيد صمويل مرجوليون، وغيرهم ممن اعتنوا بسيرة النبي -ﷺ- ، غير أن الدراسة ركزت على موضوعات تتعلق بنبوة النبي -ﷺ-وعلاقته باليهودية وعلى حياته في مكة، دون الولوج إلى الأحداث الواقعة في العهد المدني، فابتعدت بذلك عن نطاق الدراسة.

- الاستشراق في السيرة النبوية-دراسة تاريخية لآراء وات-بروكلمان-فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية – عبد الله محمد الأمين النعيم.

يتناول البحث جهود المستشرقين الثلاثة في دراسة السيرة البنيوية منذ الميلاد والبعثة ثم الأحداث الجارية في المدينة، وتعرضت في بعض جزئياتها على الغزوات والسرايا، كما أشارت إلى بعض آراء وات حول صلح الحديبية وفتح مكة، إلا أنها كانت قليلة للغاية مع إغفالها للآراء المهمة، فضلاً من أنها لم تكن ردودها متكاملة، بل اكتفت بردود عابرة اعتمدت على أحداث السيرة فقط، ما يجعل دراستنا أكثر إلمامًا، وأوسع في التحليل والتفنيد، وأدق في الردود.

- المستشرقون والسيرة النبوية-بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجومري وات – د. عماد الدين خليل.

يركز البحث على آراء وات حول السيرة النبوية في العهدين المكي من خلال كتابه محمد في مكة، والمدني في كتابه محمد في المدينة، ولم يتطرق إلى الغزوات والسرايا إلا نادراً.

إن هذه الدراسات وغيرها تشكل أهمية بالغة في بحث افتراءات المستشرقين في السيرة النبوية، وتأتي دراستنا تحاول تقديم إضافة جديدة إلى جانب الجهود المبذولة في هذا الحقل، إذ أنها تركز على تتبع الشبهات التي أثارها المستشرق مونتجومري وات حول صلح الحديبية وفتح مكة، التي نأمل أن تسهم في الكشف عن بعض الحقائق الغامضة في غزوات وسرايا النبي -ﷺ .

هيكل البحث:

جاء البحث مقسمًا إلى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول لمحة عن الاستشراق والمستشرقين وما أثارته من شبهات عن غزوات النبي – -ﷺ-، والمبحث الثاني جاء عن التعريف بمونتجومري وات والشبهات التي أثارها عن صلح الحديبية والرد عليه، أما المبحث الثالث فتعرض للشبهات التي أثارها وات عن فتح مكة.

المبحث الأول

التعريف بالاستشراق والمستشرقين وأهم الشبهات التي أثاروها عن الغزوات النبوية.

المطلب الأول: الاستشراق لغة:

كلمة (الاستشراق) مشتقة من (شرق)، قال ابن منظور في لسان العرب: "(شرق): شَرَقت الشمس، تَشرُق، شُروقا، وشَرقا: طلعت، واسم الموضع: المَشرِق، وكان القياس: المَشرَق" [(١)]، وفي "المعجم الوسيط" "شرقت الشمس شرقًا وشروقًا إذا طلعت[(٢)]، ويرى الشاهد أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء[(٣)]، وهو ما ذهب إليه رودي بارت حينما قال أن الاستشراق هو "علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة 'شرق' وكلمة شرق تعني مشرق الشمس[(٤)].

المطلب الثاني: الاستشراق اصطلاحا:

أما الاستشراق في الاصطلاح فقد وردت تعريفات متعددة، فقد عرفه أحمد عبد الحميد

---

(١) – ابن منظور. لسان العرب. دار المعارف. مادة شرق. ص٢٢٤٤.

(٢) – مجمع اللغة العربية. الإدارة العامة للمعجمات وإحياء البحوث المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. جمهورية مصر العربية. الطبعة الرابعة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م. مادة شرق. ص٤٨٠

(٣) – الشاهد. السيد محمد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، الطبعة ٢٢، السنة السادسة، ١٩٩٤م، ص ١٩١–٢١١.

(٤) – رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). ترجمة مصطفى ماهر (القاهرة: دار الكتاب العربي)، ص ١.

غراب بقوله: "هو عبارة عن دراسة أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبه: تاريخه، وثقافاته، وأديانه، ولغاته، ونظمه الاجتماعية والسياسية، وثرواته، وإمكاناته... من منطلق التفوق العنصري، والثقافي على الشرق، بهدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب، وتسويغ هذه السيطرة بدراسات وبحوث، ونظريات، تتظاهر بالعلمية والموضوعية."(١)، وعرفه النعيم أنه: "ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته(٢)" وأحيانًا يقصد به: "أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والأيدلوجي بين الشرق والغرب". وعرفه الحاج: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"(٣).

أما المفكر إدوارد سعيد فيعرف الاستشراق بأنه:" نمطًا من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه "(٤).

إن هذه التعريفات وغيرها وإن اختلفت في الصياغة، غير أنها تتفق في المعنى، والمتمثل في دراسة التراث الشرقي الإسلامي بما يحمل من الجوانب الحضارية المختلفة، وقد عبر الطيب عن ذلك بقوله: أن الاستشراق لا يعتبر تاريخًا أو جغرافيا فقط، ولا إنسانيًا أو ثقافةً

(١) – غراب. أحمد عبد الحميد. رؤية إسلامية للاستشراق. سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي. ص٧-٨.

(٢) – النعيم. عبد الله الأمين. الاستشراق في السيرة النبوية. دراسة تاريخية لآراء وات – بروكلمان – فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية. دار الفكر. دمشق. الطبعة الأولى.١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م. ص٢٤٣-٢٤٤.المعهد العالمي. القاهرة. ص١٦.

(٣) – ساسي. سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج١، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٠.

(٤) – دوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السابعة، ٢٠٠٥، ص ١٢٠.

فحسب، وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة. والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطًا عضويًا وتكامليًا مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري ويرى أن الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصص في ثقافته وتراثه، ليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي، وإنما هو "الشرق الهوية" وهو محور ما استهدفه علم الاستشراق ومصدر العناية والاهتمام، فهدف الاستشراق هو معرفة "الشرق الهوية والتاريخ" المتمثل في الإسلام والمسلمين[١].

المطلب الثالث: تعريف المستشرق:

أما المستشرق فيعرفه الدكتور زقزوق بأنه: "عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه[٢]، ويذكر المستشرق رودنسون أن كلمة مستشرق ظهرت في اللغة الإنجليزية نحو عام ١٧٧٩م كما دخلت كلمة الاستشراق معجم الأكاديمية الفرنسية في عام ١٨٣٨م وفيها تجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق[٣]، ويعتمد المستشرق الإنجليزي آربري على قاموس اكسفورد الجديد المستشرق بأنه "من تبحر في لغات الشرق وآدابه"[٤].

(١) – نظر: الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٤.

(٢) – زقزوق. محمود حمدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٧ ص ١٨.

(٣) – مكسيم. رودنسون: صورة العالم الإسلامي في أوربا، دار الطليعة، ١٩٧٠، ص ٧٤.

(٤) – ا. ج آربري: المستشرقون البريطانيون. تعريب محمد الدسوقي النويهي. (لندن: وليم كولينز، ١٩٤٦) ٧-٨.

المطلب الرابع: أهم شبهات وآراء المستشرقين حول الغزوات النبوية.

أثار المستشرقون جملة من الشبهات حول غزوات النبي -ﷺ- بهدف التقليل من أهميتها، ثم الانتقاص من مكانة النبي -ﷺ- ووصف حروبه جميعها بحروب أهل الأهواء وأصحاب المطامع الدنيوية، ونذكر هنا بعض النماذج من تلك الشبهات، للتأكيد أن المستشرقين المغرضين يحملون النظرة نفسها حول تلك الغزوات، وأن مونتجومري وات أحدهم، ولا يختلف عنهم، أن لم يكن قد تجاوزهم، ومن هذه الشبهات:

الشبهة الأولى: أن الغزوات النبوية ما هي إلا وسيلة للحصول على الزعامة والطموح السياسي.

ذكر المستشرق فلهاوزن في كتابه تاريخ الدولة العربية أن النبي -ﷺ- لم يبق الإسلام على تصالحه، بل شرع بالأخذ بسياسة الإرهاب داخل المدينة [١]، كما ذهب جولد تسيهر إلى ذلك، فيقول: " كان عليه أن يقوم بكفاح مادي في الأمة التي بعث فيها وفي العالم كله، لضمان ذيوع دعوته، والاعتراف بسيطرتها وتعاليمها، وكان هذا الجهاد المادي العالمي هو الوصية التي تركها محمد لخلفائه، والنتيجة أنه لم يكن عنده أي إيثار للسلام.."[٢].

هذه الشبهة لا أساس لها من الصحة وهى مردودة عقلاً ومنطقًا وواقعًا، لأن الناظر في السيرة النبوية نظرة إنصاف وتبصر يجد أن النبى -ﷺ- كان أزهد الناس في الحكم والملك والرياسة؛ وأنه لو أراد ذلك لناله؛ كيف وهو من بيت عربى شريف كانت له الزعامة الدينية في الجاهلية، فهو من فرع بني هاشم الذين تولوا السقاية، والرفادة وإطعام الحجيج في موسم

(١) - فلهاوزن. تاريخ الدولة العربية. ص١٥.

(٢) - جولد تسيهر. أجناس. العقيدة والشريعة في الإسلام. تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية. نقله إلى العربية وعلق عليه محمد يوسف وآخرون. دار الكتاب المصري. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٩٤٦م. ص٢٨-٢٩.

الحج، وقد عرض عليه قومه الملك والرئاسة فأبى ذلك -ﷺ- ، حين قالوا له: "فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا... فقال لهم رسول الله -ﷺ- : "ما بى ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم؛ ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً، وأنزل على كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم؛ فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم"[1].

الشبهة الثانية: أن الغزوات النبوية مع اليهود سببها الحصول على أموالهم وأراضيهم ومنحها للمهاجرين والرد عليها.

ومن الشبه التى تعلق بها المستشرقون أيضا فيما يخص الأسباب التى قامت عليها غزوات الرسول -ﷺ-ضد اليهود أنها كانت للحصول على أموالهم، وأراضيهم، يقول المستشرق يوليوس فلهاوزن: " وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة، حيث كانوا يكونون جماعات متماسكة كالقبائل العربية، وقد التمس لذلك أسبابًا واهية، وأعطى ما كان لهم من مزارع النخيل الخصبة إلى المهاجرة الذين لم تكن لهم أموال حتى ذلك الحين أرض ولا ممتلكات "[2].

---

(١) - جاءت القصة عند ابن كثير في تفسيره. أنظر ابن كثير. إسماعيل بن عمر الدمشقي. تفسير القرآن الكريم. دار ابن حزم. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م. ص١٦٥٠ - ١٦٥٢وعند ابن هشام. السيرة النبوية. حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وآخرون. مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر. ١٩٣٦م. ج٣. ص٢٩٥- ٢٩٦. وخرجه الألباني وقال إن سنده حسن. أنظر الغزالي. محمد. فقه السيرة. خرج أحاديث الكتاب محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة السادسة ١٩٦٥م. الهامش ص١١٣.

(٢) - فلهاوزن. يوليوس. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية. نقله عن الألمانية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة. راجع الترجمة الدكتور حسين مؤنس. نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. الطبعة الثانية. ١٩٦٨م.

لكن عبد الله الأمين النعيم رد على هذا الاتهام، فقال: " فهل كان إخراج بني قينقاع من المدينة لأسباب واهية أو خصومة شخصية تافهة " [١].

ذلك أن رسول الله -ﷺ- كما جاء عن ابن عباس. أنه بعد انتصاره على قريش يوم بدر قدم إلى المدينة، وجمع اليهود من بني قينقاع، فقال: " يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا، قالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أعماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا"[٢].

والمتتبع في تصرف النبي -ﷺ- مع القبائل اليهودية في المدينة وخارجها سوف يجد تعاملاً عادلاً منصفًا، فعند قدومه للمدينة وادع اليهود، وكتب كتابا عاهد فيه اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم[٣].

إن النبي -ﷺ- كان حريصًا جداً على إسلام اليهود، وعرض عليهم الإسلام، وأسلم

(١) - النعيم. الاستشراق في السيرة النبوية. ص٢٤٣-٢٤٤.

(٢) -أخرجه البيهقي. أحمد بن الحسين في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. أخرج أحاديثه عبد المعطي قلعجي. دار الكتاب. بيروت. لبنان. الطبعة الثالثة. ٢٠٠٨م-١٤٢٩ةً. السفر الثالث. باب غزوة بني قينقاع. ص١٧٣، وأبو داؤود في سننه. أول كتاب الخراج والفيء والإمارة. باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة. ر٣٠٠١. ج٤. ص٦١٧. وقال عنه محقق الكتاب بأن إسناده ضعيف. ينظر أبو داؤود. سنن أبي داؤود. المحقق شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قرة بللي. دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م. ج٤. ص٦١٧. وضعفه الألباني. ينظر الألباني. محمد ناصر الدين. ضعيف سنن أبي داؤود. للإمام الحافظ سليمان الأشعث السجستاني.. باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة. ر٣٠٠١. مكتبة المعارف. الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٩ةً-١٩٩٨م. ص٢٣٩.

(٣) - ابن هشام. السيرة النبوية. ج٢. ص٥٠٢ - ٥٠٥.

بعض ساداتهم وعلمائهم مثل: عبد الله بن سلام ﷺ، ومن لم يسلم منهم عاهده، وواثقة على النصرة والدفاع عن المدينة ضد أي عدو خارجي؛ لكن للأسف وجد التآمر والخيانة والغدر منهم، ومع ذلك تعامل معهم وفق شرع الله تعالى فلم يبدأهم بقتال قبل أن يشترط عليهم الإسلام والرجوع عن غدرهم، والدليل الدامغ الصحيح الذي يؤكد حسن معاملة النبي -ﷺ-لليهود قبول عدد من اليهود دعوة الإسلام حينما تأكد لديهم صدق نبوة النبي -ﷺ- ، ومن اليهود الذين أعلنوا إسلامهم عبدالله بن سلام وهو من أحبار اليهود، إذ لما بلغه مقدم المدينة أتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال : ما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟، ومن أي شيء ينزع الولد ينزع إلى أبيه ؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟، فقال رسول الله -ﷺ-: خبرني بهن آنفًا جبريل، قال: فقال: عبدالله ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله -ﷺ- : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال : يا رسولَ اللهِ، إن اليهود قوم بُهْت[1]، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت، فقال رسول -ﷺ-: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟!، قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول -ﷺ-: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟!، قالوا: أعاذه الله من ذلك ،

(١) - جمع بهوت من بناء المبالغة في البهت. مثل صبور وصبر ثم سكن تخفيفًا. ينظر ابن الأثير. المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري. كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق طاهر أحمد الزاوي-محمود محمد الظاحي. المكتبة العلمية. بيروت ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م. ج١. ص١٦٥.

فخرج عبد الله إليهم، فقال : أشـهد أن لا إله إلا الله، وأشـهد أن محمداً رسـول الله، قالوا : شرُّنا وابن شرِّنا، ووقعوا فيه[١] " [٢] .

إن قبول بعض اليهود للدعوة وتأكيدهم لصـدق النبوة، ثم بيان أخلاق النبي -ﷺ- يبرهن أنه لم تكن أموال اليهود وأراضـيهم سـببًا أو دافعًا لقتالهم؛ ولكن الغدر والخيانة والتآمر سبب وجيه لذلك، وهو حق مشروع حتى من قضايا الحروب والنزاع بين الدول في القانون الدولي؛ فلا يمكن في ظل الخيانة والعدوان أن يكتفي النبي -ﷺ-بالمهادنة، وهو يرى اليهود يتآمرون عليه، ويؤلبون القبائل، ويجيشون الجيوش ويثيرون الفتن بهدف القضاء على الإسلام والمسلمين.

(١) - يقال وقعت بفلان، إذا لمته ووقعت فيه إذا عبته وذممته. ابن الأثير. كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر. ج٥. ص٢١٥.

(٢) - أخرجه البخاري في صـحيحه. ينظر البخاري. محمد بن إسـماعيل بن إبراهيم الجعفي. صـحيح البخاري. كتاب الأنبياء. باب خلق آدم وذريته. ر.٣٣٢٨ البشرى. كراتشي. باكستان. ١٤٣٧ هـ-٢٠١٦م، وأخرجه البيهقي. ينظر البيهقي. أحمد بن الحسـين. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صـاحب الشـريعة. خرج أحاديثه عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م. السفر الثالث. باب ما جاء في دخول عبد الله بن سلام ﷺ على رسول الله -ﷺ- حين قدم المدينة. ص٥٣٠-٥٣١. وينظر القصة كاملة عند السـهيلي. عبد الرحمن. الروض الأنف في شـرح السـيرة النبوية لابن هشـام، ومعه السـيرة النبوية لابن هشام. تحقيق عبد الرحمن الوكيل. دار الكتب الحديثة. الجزء الرابع. ص٣٠٨ - ٣٠٩.

المبحث الثاني

التعريف بمونتجومري وات والشبهات التي أثارها عن صلح الحديبية والرد عليه.

المطلب الأول: التعريف بمونتجومري وات وأعماله ومنهجه:

المستشرق مونتجومري وات واسمه وليام مونتجومري وات Montgomery Watt. مستشرق إنجليزي إسكتلندي، ولد عام ١٩٠٩م والده القسيس أندرو وات، درس في أكاديمية لا رخ بين عامي (١٩١٤-١٩١٩م) ثم التحق بكلية جورج واتسون بجامعة إدنبرة بين عامي (١٩٢٧-١٩٣٠م)، كما درس في كلية باليول بأكسفورد بين عامي (١٩٣٠-١٩٣٣م) وجامعة جينا بألمانيا عام ١٩٣٣م، وفي جامعة أكسفورد بين عامي (١٩٣٨-١٩٣٩م) وجامعة أدنبرة بين عامي (١٩٤٠-١٩٤٣م)، نال درجة الأستاذية عام ١٩٦٤م[(١)].

عمل وات رئيساً لقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أدنبره في الفترة من ١٩٤٧-١٩٧٩، أي حتى تقاعده من العمل، كما عمل بين عامي (١٩٤٠-١٩٤٣م) راعياً لعدة كنائس في لندن وأدنبرة، ودعي للعمل أستاذا زائرا في عدد من الجامعات، منها جامعة تورنتو عام ١٩٦٣م وعام ١٩٧٨، وكلية فرنسا في باريس عام ١٩٧٠م، وجامعة جورج تاون بواشنطن بين عامي (١٩٧٨-١٩٧٩م)[(٢)]، وقد قام خلالها بتدريس الإسلام: عقيدة

(١) - الشمري. ماهر جواد كاظم. النبي محمد -ﷺ- في مؤلفات مونتجومري وات عن السيرة النبوية دراسة تحليلية مقارنة. المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية. العتبة العباسية المقدسة. العراق. الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ-٢٠١٩م. ص٤٩.

(٢) - زناتي. أنور محمود. زيارة جديدة للاستشراق مع دراسة للرؤية الاستشراقية المنصفة للرسول ﷺ. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. جمهورية مصر العربية. ٢٠٠٦م. ص١٠١.

وتاريخًا وحضارة لعدة أجيال من الطلبة كثير منهم مسلمون من العرب والباكستانيين، كما عني بدراسة سيرة النبي -ﷺ-، وهو معروف لدى طلابه بتعصبه ونزعاته التنصيرية ، ويعد من أبرز أعلام المستشرقين المعاصرين في بريطانيا، وأكثرهم تنوعًا في مجال دراساته الإسلامية ، وتحظى أعماله بشهرة واسعة بين المشتغلين بالدراسات الإسلامية والعربية، وله مقالات في دائرة المعارف الإسلامية تدور حول دلائل النبوة والتشكيك بالقرآن الكريم والانتقاص من النبي -ﷺ- (١)

اشتغل وات مونتجومري بالتأليف بوصفه مؤرخ وأستاذ أكاديمي، إذ كان ذلك همه الكبير، فأفنى عمره فيه، وحيث أنه تخصص في الدراسات الإسلامية لا سيما السيرة النبوية، فقد جاءت كتاباته مركزة على هذا الجانب، ومن كتب مونتجومري وات عن الإسلام كتاب «محمد في مكة ترجمة عبد الرحمن الشيخ حسين عيسى ١٩٥٣م، و «محمد في المدينة « ترجمة شعبان بركات عام ١٩٥٦م وأعيد طبعه عام ١٩٧٧م و «محمد نبي ورجل دولة» (محمد النبي والسياسي)، ترجمه حمود حمود عام ٢٠١٤م، وهو ملخص إلى محمد في مكة والمدينة ١٩٦١م، وأعيد إصداره عام ١٩٧٤م و «تأثير الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى» ١٩٧٢م، ترجمه حسين أحمد أمين، مكتبة مدبولي، ١٩٨٣م، الذي يعرف بعنوان (فضل الإسلام على الحضارة الغربية) و «الفلسفة الإسلامية والعقيدة» و «الإسلام واندماج المجتمع»، ترجمة علي عباس مراد، مراجعة ستار جبار علاوي، الناشر مجد المؤسسة الجامعية بيروت ٢٠٠٩م و «الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر»، ترجمة عبد الرحمن

(١) - العقيقي. نجيب. المستشرقون. موسوعة تراث العرب، مع تراجم دار المعارف بمصر. ١٩٦٤المستشرقين ودراساتهم عنه، منذ ألف عام حتى اليوم المعارف بمصر. ١٩٦٤م. ج٢. ص٥٥٤، الشمري. ماهر جواد كاظم. النبي محمد -ﷺ- في مؤلفات مونتجومري وات عن السيرة النبوية. ص٤٩-٥٠.

عبدالله الشيخ ١٩٩٨م و «في تاريخ إسبانيا الإسلامية»، ترجمة د. محمد رضا المصري١٩٩٨م، وغيرها من كتبه الأخرى التي تتناول التراث الإسلامي، ، وكان آخر كتبه حقيقة الدين في عصرنا الذي ألفه عام ١٩٩٦م[١].

نحن أمام شخصية علمية مهمة، لها مواهب متعددة، فقد أفنى وات عمره متنقلاً بين التدريس والتأليف وخدمة الكنيسة، وقدم مشروعات واسعة لهدم عرى الإسلام والطعن والتهجم على نبي الأمة ورسول الهدى صلى عليه وسلم، متأثراً بالبيئة التي تربى فيها طيلة عمره.

منهجه في دراسة السيرة النبوية:

يتسم منهج وات في دراساته للسيرة النبوية، مثل كثير من الباحثين بالجرأة والتطاول والطعن في الإسلام ورسوله صلى عليه وسلم، وقد عبر عن منهجه في كتاباته عن السيرة في مقدمة كتابه (محمد في مكة) فيقول : " من شأن هذا الكتاب أن يثير انتباه ثلاث فئات من القراء على الأقل: فئة الذين يهمهم الموضوع كمؤرخين، وفئة الذين يتناولونه أولا كمسلمين أو كمسيحين، وقد وضع الكتاب قبل كل شيء لفئة المؤرخين، ويضيف : أما فيما يتعلق بالمسائل الفقهية التي أثيرت بين المسيحية والإسلام فقد جهدت في اتخاذ موقف محايد منها، وهكذا بصدد معرفة ما إذا كان القرآن كلام الله أو ليس كلامه امتنعت عن استعمال تعبير مثل قال تعالى أو قال محمد في كل مرة استشهد بالقرآن، بل أقول بكل بساطة يقول القرآن، وليس هذا يعني أنني أرى من الضروري اتخاذ وجهة نظر مادية لضمان حياد المؤرخ، بل أنا على العكس، أعبر كمؤمن موحد صريح"[٢].

(١) – الشمري. ماهر جواد كاظم. النبي محمد –ﷺ– في مؤلفات مونتجومري وات عن السيرة النبوية. ص٥٠–٥٣.

(٢) – وات. مونتجومري. محمد في مكة. تعريب شعبان بركات. منشورات المكتبة العصرية. بيروت. ص٥.

وبالرغم من أن وات يدعي في أنه سيلتزم بالحياد في القضايا المختلف بشأنها بين الإسلام والمسيحية، ويعتمد بما تمليه عليه قواعد البحث التاريخي التي تقتضي ألا يرد أو يدحض أيا من مبادئ الإسلام الرئيسية، غير أن هذه لم تكن جميعها معالم المنهج الذي لديه، إذ أنه خالف ما يدعيه، وأخذ يتجنى على الإسلام والمسلمين، بحسب تعبيراته السابقة، وذلك بالتشكيك في الوحي والقرآن العظيم ونبوة النبي -ﷺ- ، وهو في ذلك يتناغم في عقليته مع الكتاب المستشرقين المتأثرين بالأفكار السلبية عن الشرق والإسلام الذين التزموا بالمنهج ذاته في تحريف وتشويه تراث الإسلام .

وقد سار وات في كتاباته كلها على هذا المنهج، إذ لم يخف انتقاصه من أعمال النبي -ﷺ-على امتداد وقائع السيرة النبوية، لاسيما ما يتعلق منها بالحروب التي لا يؤمن أساسا بأسبابها وغاياتها، يقول في كتابه: محمد في المدينة: "القول بأن محمداً كان يجهل غنى اليهود تقليل من شأن ذكائه؛ ولكن الاعتقاد بأن هذا الغنى كان السبب الوحيد لهجمات محمد ضد اليهود هو اتخاذ موقف مادي لا مبرر له، ولا شك أن غنى اليهود كان بدون شك عونًا كبيراً لمحمد، وحَسَّن كثيراً من وضعه المالي"(١).

المطلب الثاني: الشبهات التي أثارها وات عن صلح الحديبية والرد عليها:

أثار وات من خلال كتابه محمد في المدينة جملة من الشبهات، وسوف نتناول في هذا المطلب نماذج منها، ثم الرد عليها، وقد اعتمدنا في ذلك على الاستشهاد بما ورد من الآيات الكريمة في كتاب الله ﷻ، وما جاء في سنة نبيه -ﷺ-من الأحاديث النبوية الشريفة، بالإضافة إلى ما دونته المصادر الأصلية للسيرة النبوية العطرة، وما جاء في كتب ومصنفات

(١) - وات. مونتجومري. محمد في المدينة. تعريب شعبان بركات. منشورات المكتبة العصرية. بيروت. ص٣٣٥.

علماء الأمة، وما ورد في دراسات الباحثين من الأساتذة الأكاديميين وغيرهم، ممن أخلصوا للإسلام ونبيه الكريم -ﷺ- .

كما اعتمدنا على المنهج التاريخي بهدف جمع وتفسير أحداث السيرة التي اعتمد عليها وات في تحليلاته، حيث تتبعنا تلك الشبهات، وقمنا بالكشف عن المغالطات التاريخية التي وقع فيها، واعتمدنا أيضـًا عل المنهج النقدي في تفنيد ونقد التحليلات التي توصل إليها والتي تتعارض مع الحقائق التاريخية الوارد في السيرة النبوية، كم استخدمنا المنهج المقارن، من أجل مقارنة آراء وات في الشبهات التي أثارها حول صلح الحديبية وفتح مكة مع أقرانه من المستشرقين الذين كتبوا عن السيرة النبوية، بالإضافة إلى أولئك المغتربين الذين ينتمون إلى بلاد الإسلام، وساروا في ركب المستشرقين واغترفوا من بحور علمهم ومناهجهم، وذلك لمعرفة جوانب التوافق وجوانب الاختلاف بينهم وبين آراء وات، للتأكيد أن تلك الشبهات التي أثارها ما هي إلا محض افتراء، ولم تكن مبنية على حقائق تاريخية ثابتة، ونذكر هنا بعض تلك النماذج مع ردودها ومنها :

الشبهة الأولى: أن النبي -ﷺ-أصابه الحزن حينما لم يتحقق وعد الله بالرؤيا التي رآها.

يقول وات: " ولا شك أن الرؤيا هي التي دفعت محمداً إلى التفكير بالحج، ولقد قلق حينما رأى وعد الله لا يتحقق "[1].

الرد على الشبهة:

لقد رأى النبي -ﷺ-عام الحديبية رؤيا فرح بها، ورؤيا الأنبياء حق، بأنه وأصحابه دخلوا المسجد الحرام آمنين فأدَّوُا العمرة، وكانوا ما بين محلِّق ومقصِّر، كما بشَّرهم بالفتح،

(١) - وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص٧٠.

وقد نزل في ذلك قرآن يتلى، يقول سبحانه : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[١] لكن لما صُدوا عن المسجد الحرام وعقدوا صلح الحديبية وأن عمرتهم قد تأجلت إلى قابل، شق عليهم ذلك، فقال المنافقون: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، ثم وقع الصلح بين المسلمين وقريش، وقد أخبر القُرْآن الكريم عن مجريات الصلح بدءًا من البيعة، فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢]، ولكن البيعة تحت الشجرة كانت من قلوبٍ حملت الوفاء والإخلاص؛ لذلك مدحهم الله {لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٣]، وبعد البيعة استعد النبي -ﷺ- لقتالهم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾[٤] .

فيتبين من ذلك أن النبي -ﷺ-لم يحزن ولم يقلق، إذ أنه كان يحاور أصحابه، ويؤكد لهم أنه لم يقل هذا العام، مع يقينه أن الله لا يخلف الميعاد، كما أن بيعة الرضوان كما حكت الآيات قد دلت على مدح الصحابة لموقفهم المشرف بنزولهم إلى رغبة نبيهم الكريم -ﷺ- ، وتنفيذهم لأوامر الله ﷻ، فعن أبي وائل، قال: كنا بصفين فقام سهل بن حنيف

(١) _ الفتح: ٢٧.

(٢) _ الفتح: ١٠.

(٣) _ الفتح: ١٨.

(٤) - الفتح: ٢٢-٢٣.

فقال: أيها الناس، اتهموا أنفسكم، فإنا كنا مع رسول الله -ﷺ- يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: بلى، فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلى م نعطي الدنية في ديننا؟ أنرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: يا بن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا، فانطلق عمر إلى أبي بكر، فقال له مثل ما قال للنبي -ﷺ- ، فقال: أنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً، فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم[1].

كما أن الشك لم يساور النبي -ﷺ- ، ولم يعتريه الحزن، لأنه يرتكز على وحي من عند الله ﷻ، ولئن كان الصحابة أبدوا شيئًا من الاستغراب من موافقة النبي -ﷺ- على الصلح وشروطه، لأنهم لم يطلعوا على أسرار الغيب، فتساءل بعضهم عن هذا الموقف، كما فعل عمر، غير أن ذلك قد انكشف للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، فلا مكان هنا للحزن والقلق، وقد أكد البوطي ذلك بقوله:" لقد كان السر في ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم إنما كانوا يتأملون تصرفات النبي -ﷺ- ، وهم يقفون على أرض من البشرية العادية، فلا يتبصرونها إلا بمقدار النبي صلى الله عليه ، ولا يفهمون منها إلا ما تفهمه عقولهم البشرية القائمة على الخبرات المحسوسة، على حين كان النبي -ﷺ- واقفًا من تصرفاته هذه فوق مستوى البشرية وخبراتها وأسبابها، كانت النبوة المطلقة هي التي توجهه وتلهمه وتوحي إليه، وكان

(١) - أخرجه البخاري. كتاب الجزية. ر٣١٨٢. البشرى. ١٤٣٧ هـ-٢٠١٦م ينظر القصة في ابن هشام. السيرة النبوية. حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وآخرون. مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر. ١٩٣٦م. ج٣. ص٣٣١.

تنفيذ الأمر الإلهي هو وحده الماثل أمام عينيه"[١].

وقد خالف بروكلمان رأي وات، إذ أشار إلى أن التنازل الذي وافق عليه النبي صلى عليه وسلم قد أقلق أصحابه، ولم يبعث أي حزن لديه -ﷺ- ، لأنه يعلم أن ثماره ستعود بالخير على الدعوة وأهلها، ويعبر عن ذلك بقوله: " والواقع أن هذا التنازل قد زاد في غيظ المسلمين، خاصة وأن محمداً قد رضي عند كتابة وثيقة الصلح بأن يغفل النص عن صفته كرسول الله، ولكن المستقبل ما عتم أن برر موقفه هذا"[٢].

وخالفه أيضًا محمد حسين هيكل، إذ أكد أن صلح الحديبية كان فتحًا مبينًا، وجاء يحمل بشارة عظيمة لدعوة النبي -ﷺ- ، ويدفع نحو توسع الأمة الإسلامية، يقول في ذلك: " لم يبق إذاً ريب في أن عهد الحديبية فتح مبين، وهو قد كان كذلك، وقد أثبتت الأيام أن هذا العهد حكمة وبعد نظر كان لهما أكبر الأثر في مستقبل الإسلام وفي مستقبل العرب كله"[٣].

تبرهن هذه الردود، سواء ما جاء منها في النصوص وأقوال العلماء، أو ما دونه أقران وات أن رأيه باطل، إذ لا ينطلق من حقائق ثابته، ولا يدعمه الباحثون من أمثاله، وأنه محض افتراء ناشئ عن حالة الحقد والبغضاء التي يحملها على نبي الأمة -ﷺ- .

(١) - البوطي. محمد سعيد رمضان. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة. دار الفكر المعاصر. بيروت لبنان. الطبعة العاشرة ١٤١١ هـ-١٩٩١م. ص٣٤٧.

(٢) - بروكلمان. كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية. نقلها إلى العربية نبيه أمين، منير البعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. الطبعة الخامسة. ١٩٦٨م. ص٥٦.

(٣) - هيكل. محمد حسين. حياة محمد. دار المعارف. القاهرة. الطبعة الرابعة عشرة. ص٣٨٣.

الشبهة الثانية: يزعم أن النبي صلي الله عليه وسلم كان ينوي قتال أهل مكة.

يقول وات " وأكد المكيون له عند سماعهم باقتراب هذه القوة أن محمداً -ﷺ- ينوي الاعتداء عليهم فأرسلوا ٢٠٠ فارس لمنعه من الوصول"[١].

الرد على الشبهة:

لم يكن النبي -ﷺ-ينوي قتال قريش، وإنما كان همه أداء العمرة، وتحقيق الرؤيا التي أراه الله سبحانه إياها، ودليل ذلك ماورد في السيرة أنه عليه الصلاة والسلام خرج ومعه زوجه أم سلمة في ألف وأربعمائة مسلم متجهين إلى مكة لقضاء أول عمرة لهم بعد الهجرة، وحملوا معهم سلاح المسافر، وساقوا أمامهم الهدي، فلما وصل إلى ذي الحليفة أهل مُحْرما هو ومن معه، وبعث النبي ـ -ﷺ-بُسر بن سفيان إلى مكة ليأتيه بأخبار قريش ويطلع على ردود أفعالهم، وحينما وصل المسلمون إلى عسفان(مكان بين مكة والمدينة)، جاءهم بسر بأخبار استعدادات قريش لصد ومنع المسلمين من دخول مكة، وأمام نوايا قريش وجاهزيتها للقتال استشار النبي -ﷺ- أصحابه، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربًا، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه، فقال النبي -ﷺ-: فامضوا على اسم الله[٢] .

سار الرسول -ﷺ-بأصحابه حتى وصل عسفان فصلى مع أصحابه صلاة الخوف، ثم سلك بهم طريقًا وعرة، متجنبًا الاصطدام بخالد بن الوليد، الذي كان لا يزال على

(١) - وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص٧٠.

(٢) - أخرجه البخاري. كتاب المغازي. باب غزوة الحديبية. ر٤١٧٨-٤١٧٩. ينظر القصة في الحلبي. نور الدين. السيرة الحلبية. ص٨١١.

الشرك، حيث خرج من مكة بجنود ليمنع النبي -ﷺ-من دخولها.. فمضى النبي ــ -ﷺ- ومعه أصــحابه باتجاه مكة، حتى إذا اقتربوا من الحديبية بركت ناقته، فقالوا: خلأت القصواء[١](امتنعت عن المشي) ؟، فقال: -ﷺ-: (ما خلأت القصواء وما ذلك لها بخلق، ولكن حبســها حابس الفيل) ثم قال ـــ -ﷺ- : (والذي نفســي بيده، لا يســألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها)[٢].

وحينما نزل الرســول -ﷺ-بالحديبية أرســل عثمان بن عفان إلى قريش وقال له: أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عماراً، وادعهم إلى الإسلام، وأَمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين ونســاء مؤمنات، فيبشــرهم بالفتح، وأن الله ﷻ مظهر دينه بمكة، فانطلق عثمان فمر على قريش، فقالوا: إلى أين؟، فقال: بعثني رسول الله -ﷺ-أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، ويخبركم: أنه لم يأت لقتال، وإنما جئنا عماراً[٣].

وقد بين المباركفوري أن النبي -ﷺ-لم يأت لقتال أحد، فقد أكد أنه لم يخرج معه أحد من أصحابه يحمل سلاحًا، إلا سلاح المسافر، والسيوف في القرب[٤].

---

(١) - الخلاء للنوق كالإلحاح للجمال، والحران للدواب. يقال خلأت الناقة، وألح الجمل، وحرن الفرس. ابن الأثير. كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر. ج٢. ص٥٨.

(٢) - أخرجه البخاري. كتاب الشــروط. باب الشــروط في الجهاد والمصــالحة مع أهل الحرب. ر٢٧٣١،٢٧٣٢.

(٣) - الطبري. محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. تاريخ الطبري اعتنى به أبو صــهيب الكرمي. بيت الأفكار العالمية. عمان. الأردن. ص٤١١.

(٤) - المباركفوري. صفي الرحمن. الرحيق المختوم. بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. دولة قطر.١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧م. ص٣٣٧.

وأكد المستشرق كارين ارمسترونغ عدم نية النبي -ﷺ-القتال في هذه الرحلة مخالفًا في ذلك ما ذهب إليه وات، فيقول: " وأوضح محمد لهم أنها لن تكون حملة عسكرية، فسوف يرتدي المسلمون ملابس الإحرام البيضاء التي يرتديها المعتمرون، ولن يحملوا أسلحة في أيديهم، ..... وأضاف أنه عندما طالب بعض الصحابة بحمل السلاح تحسبًا لأي مواجهة مع قريش، رفض النبي صلى عليه وسلم، وعبر كارين عن ذلك فقال: لكنه أصر على عدم القتال هذه المرة، وأنه لا يتزحزح عن رأيه قائلاً إنه لن يحمل السلاح وأنه لا مقصد له إلا زيارة بيت الله الحرام، ومن ثم اقتصر السلاح الذي يحمله المعتمر على سيف قصير لا يصلح إلا للصيد، وأمر كل واحد ألا يستل السيف من غمده"(١).

كما خالف العقاد ما أدعاه وات من أن قصد النبي -ﷺ-غزو قريش، إذ يؤكد أن لا نية مبيتة للحرب لديه -ﷺ، فيقول:" وقد خرج النبي إلى مكة في رحلة الحديبية حاجًا لا غازيًا، يقول ذلك ويكرره ويقيم الشواهد عليه لمن سأله، ويثبت نية السلم بالتجرد من السلاح، إلا ما يؤذن به لغير المقاتلين"(٢).

وقد غاب عن وات أن بديل بن ورقاء الخزاعي مع قوم من خزاعة قد أيقنوا بنية النبي -ﷺ-أنه جاء للعمرة، وذلك حينما خرج إلى النبي -ﷺ- ، فقال له : تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد نزلوا أعداد مياه الحديبية وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال-ﷺ-: " أنا لم نأت لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن شاءت قريش ما ددناهم مدة

(١) - ارمسترونغ. كارين. سيرة النبي محمد. ترجمة فاطمة نصر، محمد عناني. كتاب سطور (١). الطبعة الثانية. ١٩٩٨م. ص٣١٧-٣١٨.

(٢) - العقاد. عباس محمود. عبقرية محمد. نهضة مصر. ص٥٧.

ويخلوا بيني وبين الناس " وحينما رجع بالجواب إلى قريش، فقال لهم: " إنكم تعجلون على محمد -ﷺ-إنه لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت، فاتهموهم وجبهوهم، وقالوا إن كان جاء ولا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً، ولا تحدث بذلك عنا العرب"(١).

ففي رد قريش أنهم لا يريدون لمحمد -ﷺ-دخول مكة عنوة شاهد آخر، أنه -ﷺ- لا يريد حرب أهل مكة، وأن إثارة الخلاف جاء من جهة أهل مكة، حفاظاً على مكانتهم السياسية بين العرب، إذا دخل عليهم المسلمون، ولم يكن ذلك بسبب أن النبي -ﷺ-يريد قتالهم.

هذه الشواهد وغيرها تؤكد أن ما ساقه وات من الشبهات إنما هي محض افتراء على سيرة النبي -ﷺ- ، وتحامل على شخصه الكريم ﷺ ، وإلا كيف من يحمل سلاح المسافر ويسوق الهدي أمامه ويصطحب زوجه معه، ثم يغير طريقه ليتجنب الصدام مع المسلحين من قريش، أو يبعث أحد أصحابه ليعلن أنه لم يأت للقتال، ثم يقال إنه ينوي القتال.

(١) - ابن الأثير. علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري. الكامل في التاريخ. اعتنى به أبو صهيب الكرمي. بيت الأفكار الدولية. ص٢٤٤، ابن هشام. السيرة النبوية، ج٣. ص٣١١.

الشبهة الثالثة: أن النبي -ﷺ- يبيح القتال في الأشهر الحرم.

يقول وات: " كان الشهر شهر حرام يحرم فيه سفك الدماء، لكن محمداً نفسه لم يراع تماما الأشهر الحرم، ولم يكن يعتمد على قدسية هذا الشهر، بل على عدد أنصاره "[1].

الرد على الشبهة:

كان مسير النبي -ﷺ- لأداء العمرة ووقع على أثرها صلح الحديبية كان ذلك في شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم، لكن وات يرى أن النبي -ﷺ- كان ينوي القتال في الشهر الحرام، وقد تأكد أنه لم يكن ينوي القتال، فلم يقع من الأساس، ومع عدم وقوعه فلا يسيغ القول أن النبي -ﷺ- قد انتهك الأشهر الحرم، وللتأكيد على ذلك فإن الله قدر للنبي -ﷺ- أن يؤدي عمرة القضاء في الشهر ذاته من العام السابع بموجب صلح الحديبية، ولم يقع فيه القتال أيضًا، وفيه نزلت الآية في قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾[2]، فقد أخرج ابن جرير، أن رسول الله -ﷺ- سار معتمراً في سنة ست من الهجرة، وحبسه المشركون عن الدخول والوصول إلى البيت، وصدوه بمن معه من المسلمين، وهو شهر حرام، حتى قاضاهم على الدخول من قابل، فدخلها في السنة السابعة هو ومن كان معه من المسلمين، وأنزلت هذه الآية: الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص يعني ذا القعدة الذي أوصلكم الله فيه إلى حرمه وبيته، على كراهة مشركي قريش ذلك، حتى قضيتم منه وطركم، بالشهر الحرام الذي صدكم مشركو قريش العام الماضي قبله فيه عن كره منكم عن الحرم، فلم تدخلوه، ولم تصلوا إلى بيت الله، فأقصكم الله أيها

(١) - وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص٧١.

(٢) - البقرة.١٩٤.

المؤمنون من المشـركين بإدخالكم الحرم في الشـهر الحرام على كره منهم لذلك، بما كان منهم في الشهر الحرام من الصد والمنع من الوصول إلى البيت.[١]

مع هذا فإن النبي -ﷺ- حرص على تجنب اللقاء، فأمر أصحابه أن يعدلوا عن طريق فرسـان قريش حتى لا يلتحموا بهم، وعبر -ﷺ-عن أسـفه لتصـرف قريش هذا فقال: " يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين العرب. فإن هم أصـابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا الإسـلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فو الله لا زال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[٢] " [٣].

ولا ريب أن دخول النبي -ﷺ-في ذي القعدة وهو من الأشـهر الحرم دليل قاطع على أنه يعظم الأشـهر الحرم وأنه لا يريد القتال فيها، وأنه بفعله هذا أراد منع الصـدام مع قريش التي تمتنع كغيرها من قبائل العرب عن القتال في هذه الأشهر.

كما أن الحقيقة التي لم يستوعبها وات، وهي أن الإسلام أباح القتال في الأشـهر الحرم لمواجهة عدوان وطغيان الذين يحاربون الله ورسـوله ويصـدون عن سـبيل الله، قال

(١)- الطبري. تفسير الطبري. من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.المجلد الأول. الفاتحة – البقرة. ص٥٢٠-٥٢١.

(٢) - صـفحة العنق وهما سـالفتان من جانبيه، وكنى بانفرادهما عن الموت لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت. ابن الأثير. كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر. ج٢. ص٣٩٠

(٣) - حنبل. أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. حققه وأخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ-١٩٩٥م. رح١٨٩١٠. حكم عليه المحققون بأن إسناده حسن.

تعالى: "﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

إن عدوانية قريش وحربها للإسلام ونبيه وأصحابه تجاوز الحد في القتل والاضطهاد، فجاء حكم القرآن منسجماً مع الأذى الواقع على المسلمين، وهو حق الدفاع عن النفس والدين والعرض، يقول العقاد رداً على المستشرقين الذين أتهموا النبي صلى عليه وسلم بإعلان الحرب في الأشهر الحرم " فإن أصحاب هذه الضجة يعمون عما حولهم وينسون أن المعاملات الدولية في زمانهم لم تفصل في أمثال هذه الحوادث بحكم أنفع ولا أعدل من الحكم الذي ارتضاه النبي ونزل يه القرآن، وهو حكم مساواة يدين به المسلمون كما يدانون، ويحار المعتسف لو شاء أن يستبدل به ما هو خير منه وأدنى إلى النفاذ والاتباع "[2].

كما أن دخول النبي -ﷺ- في ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم دليل قاطع على أنه يعظم الأشهر الحرم وأنه لا يريد القتال فيها، وأنه بفعله هذا أراد منع الصدام مع قريش التي تمتنع كغيرها من قبائل العرب عن القتال في هذه الأشهر.

ومن المفارقات التي وقع فيه وات وتبعث على الاستغراب، أنه في الوقت الذي يتهم فيه النبي -ﷺ- بانتهاك الشهر الحرام على الرغم من الدلائل الواضحة على مساعيه -ﷺ- في تجنب الحرب، فإننا نجد أن وات يسكت عن انتهاكات قريش للشهر واستعداداتها

(١) ـ البقرة: ٢١٧.

(٢) - العقاد. عباس محمود. عبقرية محمد. نهضة مصر. ص٤٣.

للقتال حينما ذكر أنها أرسلت مائتي فارس لمنع المسلمين عن دخول مكة – كما سبقت الإشارة – ولم ينكر عليها ذلك، وهو ما يوحي باختلال المعايير لديه، كما أنه لم يلتزم بالمنهجية العلمية في معالجته للأحداث كما يدعي، إذ كانت كل تحليلاته موجهة مسبقًا لتشويه غزوات النبي –ﷺ .

وقد خالفه في ذلك المستشرق كارين وقدم هذا التصور، ورأى أن قريش تنتهك القيم العربية الموروثة، فقال: " لقد كان من الخطأ الاقتتال في الأشهر الحرم، لكن هناك جرائم أسوأ من ذلك، فالأشد خطورة هو أن يضطهد الناس، كما اضطهدت قريش المسلمين، منتهكة بذلك أقدس قيمة عربية، وذلك بطردهم من القبيلة"[١] .

الشبهة الرابعة : أن النبي –ﷺ–تحايل على أهل مكة لأنه استاء من بعض القبائل التي لم تشاركه رحلة العمرة.

يقول وات: " وكان أثناء ذلك يخفف من ضغطه على مكة ويظهر تودده واستعداده لاحترام عواطف المكيين بصورة مختلفة، أي أنه بدلاً من أن يمعن في نضاله ضد مكة، أرسل الطعم لإدخال القرشيين في الإسلام، ولا نعلم تمامًا ما يكمن وراء هذه الحيلة، إذ ربما أصابه القرف من رفض البدو الانضمام إلى الحج، فأحس بأنه لا يعتمد إلى أصحابه"[٢].

الرد على الشبهة :

حينما نوى النبي –ﷺ– الخروج إلى عمرة الحديبية دعا الأعراب الذين كانوا نازلين حول المدينة وهم ست قبائل : غفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأشجع ، وأسلم ، والديل ، وبعد

(١) – أرمسترونج. سيرة النبي محمد. ص٢٥٨.

(٢) – وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص٧٤.

أن بايعوه على الخروج معه فإن رسول الله -ﷺ-لما أراد المسير إلى العمرة استنفر من حول المدينة منهم ليخرجوا معه فيرهبه أهل مكة فلا يصدوه عن عمرته فتثاقل أكثرهم عن الخروج، وتخلف عن الخروج معه معظمهم، وكانوا يومئذ لم يتمكن الإيمان من قلوبهم ولكنهم لم يكونوا منافقين، وأعدوا للمعذرة بعد رجوع النبي -ﷺ-أنهم شغلتهم أموالهم وأهلوهم ، فأخبر الله رسوله -ﷺ-بما بيتوه في قلوبهم وفضح أمرهم من قبل أن يعتذروا، قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1].

ومن المؤكد أن النبي -ﷺ-كان يتمنى خروج الأعراب معه حتى تهابه قريش فلا تصده عن دخول مكة، غير أن امتناع الأعراب عن الخروج معه لم يثنه عن القيام برحلته وتحقيق الرؤيا التي رآها، وهذا دليل أن النبي -ﷺ-لم يكترث كثيراً برفض الأعراب من المشاركة، ولو كان هذا الأمر قد أصاب النبي -ﷺ-بالقلق والاشمئزاز كما وصف وات، فإنه سوف يلغي الخروج في الرحلة، كما أن صحابته الذين رافقوه في هذه الرحلة يفوق عددهم ألف وأربعمائة، وهذ العدد يبعث على الطمأنينة، لا على الخوف والحزن.

إلى ذلك فإن نزول الآيات في سورة الفتح التي كشفت حال الأعراب الذين تخلفوا عن ركب النبي -ﷺ- ، وبينت خطورة ما وقعوا فيه من خذلناهم للنبي صل الله عليه وسلم، وأكدت أن النبي -ﷺ- ماض في تحقيق رؤياه وفق تقدير الله ﷻ، وأنه لم يشعر بسببها بقلق أو أسى قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا(٤)لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) - الفتح: ١١

وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا(٥)وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا(٦)وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(٧) ﴾[١] .

ويرى ابن عاشور أن الله تعالى أراد بإنزال السكينة في قلوب المؤمنين "أهل الحديبية" حين بايعوا رسول الله -ﷺ-على مناجزة الحرب مع أهل مكة، بعد أن حصل لهم ما يزعج النفوس ويزيغ القلوب، مِن صد الكفار لهم عن دخول مكة، ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصودهم، فلما أنزل الله عليهم السكينة اطمأنت نفوسهم، فزال ما خامرها من ظنون، وأيقنوا أنه وعد الله، فانقشع عنهم ما يوشك أن يشكك بعضهم فيلتحق بالمنافقين الظانين بالله ظن السوء، فقد علم الله ﷻ أنه إذا حصلت السكينة في قلوبهم رسخ إيمانهم[٢].

ومن أنزل الله السكينة في قلبه أيقن أن الله معه، فلا يمكن أن يتسرب القلق إلى نفسه، ويكون ذلك دافعًا إلى مزيد من العمل الصالح والتقرب إلى الله بالطاعات، وهذا ما بينته الآيات الكريمة، يقول الحق ﷻ واصفًا رسوله -ﷺ-وأصحابه:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣] .

(١) - الفتح: ٤-٧.

(٢) - ابن عاشور. محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر. الجزء السادس والعشرون. ص١٤٩-١٥٠

(٣) - الفتح: ٢٩.

فهذه الصفات كما يقول المفسرون لأهل الحديبية محمد رسول الله وصحابته الذين هم معه، أشـدّاء على الكفار المحاربين، رحماء بينهم متعاطفون متوادُّون، تراهم - أيها الناظر - ركَّعًا سُجَّدًا لله سبحانه، يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالمغفرة والثواب، وأن يرضى عنهم، علامتهم في وجوههم من آثار السجود ما يظهر من الهدي ونور الصلاة في وجوههم من كثرة السجود[1].

أما قوله أن النبي -ﷺ-لم يكن يعتمد على أصحابه، فقول باطل، إذ كيف لا يعتمد عليهم وهم الذين استشارهم بعد أن رأى الرؤيا، وأشاروا عليه بالخروج، وحينما بعث عثمان بن عفان لم يتردد في تنفيذ أمر نبيه وتوجه إلى قريش، وحينما أشيع مقتل عثمان دعا النبي -ﷺ-للبيعة، فاستجاب الصحابة للنداء، فسارعوا إليه يبايعونه على ألا يفروا، وبايعته جماعة على الموت، وأول من بايعه أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع على الموت ثلاث مرات، في أول الناس ووسطهم وآخرهم، وأخذ رسول الله -ﷺ-بيد نفسه وقال: (هذه لعثمان)[2]، وقد تحدثت الآيات الكريمة عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3] .

---

(١) - القرطبي. محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن. تحقيق عيد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة.. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م. الجزء التاسع عشر. ص٣٤٠-٣٤٣.

(٢) - أخرجه البخاري. كتاب المغازي. باب قول الله تعالى إن الذين تولوا منكم. ر٤٠٦٦. ينظر القصة في الغزالي. محمد. فقه السيرة. دار الكتب العلمية. الطبعة السادسة ١٩٦٥م. ص٣٥٨.

(٣) - الفتح: ١٠.

ثم قال ﷻ معبراً عن البهجة التي تغشى المؤمنين والطمأنينة التي استقرت في نفوسهم ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[١].

فلا يمكن أن يبقى بعد هذا البيان ما يحمل الصحابة على عصيان أوامر الله ورسوله بعد أن ﷺ، وكانت مواقف بعضهم حميةً لدين الله، لِما رأوا في شروط الصلح من ظلم ظاهر لهم، وإجحاف بحقوقهم، ولكنهم آمنوا بالله، وصدقوا وعده، وأطاعوا نبيه -ﷺ- حينما أمضى الصلح، وكان في ذلك الخير والفلاح للإسلام والمسلمين، وتحقق بذلك الفتح المبين الذي وعد الله به عباده المؤمنين.

وقد خالف بروكلمان ما ذهب إليه وات في أن النبي -ﷺ-ما كان يعتمد على أصحابه، ويتضح ذلك من خلال تأكيده على مسارعة الصحابة إلى البيعة فور مناداة النبي -ﷺ- بعد ما أشيع مقتل عثما بن عفان، فيقول عن ذلك: " فدعا أصحابه إلى البيعة فجددوا عهدهم له، تحت شجرة كبيرة، فعرفت هذه البيعة ببيعة الرضوان، وصارت بعد مفخراً يعتز به من تشرف بها "[٢].

كما أن وات لم يفهم أن مجيء النبي -ﷺ-لم يكن بغرض أداء فريضة الحج، وإنما من أجل أداء العمرة، وهو ما يوحي بأنه قاصر عن إدراك حقائق وقائع السيرة العطرة ومآلات الأحداث.

(١) - الفتح:١٨.

(٢) - بروكلمان. كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية. ص٥٥-٥٦.

فقد ثبت في السيرة أن النبي -ﷺ- قد خرج في الحديبية لأداء العمرة ولم يخرج حاجًا، فعند ابن كثير أن النبي -ﷺ- اعتمر أربع عمر وهي: عمرة الحديبية عام ست، وعمرة القضاء عام سبع، وعمرة الجعرانة عام ثمان حيث قسم غنائم حنين، والثلاث كن في ذي القعدة، والرابعة عمرته مع حجة الوداع[1]، ما يؤكد أنه عليه الصلاة والسلام لم يحج إلا مرة واحدة، وهي حجة الوداع.

وقد خالفه في ذلك المستشرق كارين، إذ كثيراً نجده في سياق تناوله لرحلة الحديبية ما يذكر عبارة المشاركة في العمرة، ويحمل المعتمرون، ويحمله المعتمر[2]، وهذا يعني أن كارين يفرق بين العمرة والحج، لا كما يفعل وات الذي يخلط بينهما، ما يحملنا إلى القول إن وات ليس جديراً بتناول أحداث السيرة النبوية في ظل هذا الجهل للوقائع التاريخية، وما يكنه من التحامل الواضح لشخص النبي -ﷺ- .

الشبهة الخامسة: أن النبي -ﷺ- شعر بالرضا لأنه تم الاعتراف بمكانته الخاصة:

يقول وات: " كان محمد راضيًا عن الغزوة بعد عودته إلى المدينة، فقد فاز، حين وقع معاهدة على قدم المساواة مع المكيين، بالاعتراف بمكانته الخاصة به، بعد فشل حصار مكة، والأهم من ذلك، أنه وضع حداً لحالة الحرب مع مكة، وأصبح حراً في بسط نفوذ المنظمة الدينية والسياسية التي ألفها"[3].

(١) - ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل. البداية والنهاية مبدأ الخليقة وقصص الأنبياء. إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. دولة قطر. ١٤٣٦ هـ-٢٠١٥م. الجزء الرابع. ص٣٧٥.

(٢) - ارمسترونغ. كارين. سيرة النبي محمد. ص٣١٨.

(٣) - وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص٧٦.

بعد هذا الفتح العظيم و الصلح المكين والنصر المبين، انصرف رسول الله -ﷺ-من الحديبية قاصدًا المدينة المنورة، وعبّر عن عظيم فرحته بنزول القرآن عليه بخصوص هذا الفتح والنصر منّا من الله بالنصر ومغفرة للذنب، وأمام هذه النعمة العظيمة التي نت الله بها على نبي الأمة ورسول الهدى -ﷺ-وصحابته المؤمنين الأوفياء نزل قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾[1] .

وهذا الفتح كما عبرت الآية الكريمة هو موضع فرح النبي -ﷺ-، إذ فرح لها قلبه فرحًا عميقًا، كما فرح صحابته الكرام، فقد انقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح غامر، وأدركوا أنهم لا يمكن أن يحيطوا بالأسباب والنتائج، وأن التسليم لأمر الله ورسوله فيه كل الخير لهم ولدعوة الإسلام، يقول صاحب «صفوة التفاسير» في تفسيره : قد فتحنا لك يا محمد فتحًا بينًا ظاهراً، وحكمنا لك بالفتح المبين على أعدائك، ثم قال :أراد بإنزال السكينة في قلوب المؤمنين أهل الحديبية حين بايعوا رسول الله -ﷺ-على مناجزة الحرب مع أهل مكة، بعد أن حصل لهم ما يزعج النفوس ويزيغ القلوب، من صد الكفار لهم عن دخول مكة، ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصود، فلم يرجع منهم أحد عن الإيمان، إلى أن قال : ليدخلهم على طاعتهم وجهادهم حدائق وبساتين ناضرة، تجري من تحتها أنهار الجنة ماكثين فيها أبداً، وختم بقوله : وكان ذلك الإدخال في الجنات والتكفير عن السيئات، فوزاً كبيراً وسعادة لا مزيد عليها، إذ ليس بعد نعيم الجنة نعيم"[2].

(١) - الفتح: ٥.

(٢) - الصابوني. محمد علي. صفوة التفاسير. دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م ٣/ ٢٠١-٢٠٢.ص١٣٦٧ - ١٣٦٨.

كان النصـــر الذي تحقق في رحلة الحديبية وما تمخض عنه من انتشـــار للإســـلام، وما ارتبط به من تمهيد لفتح مكة، هي التي أدخلت البهجة والســـرور في قلب النبي -ﷺ- ، وليس كما يدعي وات أن النبي -ﷺ- ، كان راضـيًا لأنه تم الاعتراف بمكانته الخاصـة، إذ لم يكن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام يسعى إلى الوصول للزعامة السياسية، بدليل أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام رفض عروض قريش التي بذلتها بداية الدعوة، بأن يكون صـــاحب جاه بينهم، واعترفت قيادات في قريش بغايته من دعوته، فقد رد عتبة بن ربيعة على قريش بعد لقائه بالنبي -ﷺ- ، فقال : " يا معشـــر قريش أطبعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل، وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي ســـمعت منه نبأ عظيم، فإن تصـــبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به "[1].

(١) - السهيلي. عبد الرحمن. الروض الأنف في شرح السبرة النبوية لابن هشام. ج٣. ص١٢١.

المبحث الثالث

للشبهات التي أثارها وات عن فتح مكة

الشبهة الأولى: لم يكن فتح مكة غاية بذاته، بل الهدف كان توحيد العرب تحت سلطته والتوسع بهم نحو الشمال.

يقول وات: "تدل ضخامة غزوة مؤته وأهميته على أن هدف محمد كان توحيد العرب تحت سلطته والتوسع بهم نحو الشمال، ولم يكن فتح مكة إذن غاية بذاتها. ومع ذلك كان لمكة والمكيين أهمية بالنسبة لمحمد "[١].

الرد على الشبهة:

يعتبر فتح مكة مرحلة أساسية من مراحل الدعوة، تحققت فيها العديد من الأهداف. ليس حب التوسع من ضمنها كما ذهب وات، تتمثل بداية أنه تم انتزاع تلك البقعة المباركة من براثن الشرك، وضمها لحمى التوحيد، فقد دخل النبي -ﷺ-مكة فكان من أول ما فعل أن كسَّر الأصنام المنصوبة حول الكعبة المشرفة، وهو يردد قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٢]، وقوله ﷻ: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[٣]، وصعد بلال على سطح الكعبة وصدح بالأذان، فكانت كلماته تتردد في أرجاء مكة معلنة انتهاء عهد الخرافة والشرك، وبدء عصر النور والتوحيد.

من أهم الدلالات التي أفصح عنها فتح مكة موقف رسول الله -ﷺ-من أهلها الذين ناصبوه العداء منذ أن بدأ بتبليغ دعوته، فبعد أن أكرمه الله ﷻ بدخول مكة توجه إلى أهلها

(١) - وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص٩٧.

(٢) _ الإسراء: ٨١.

(٣) _ سبأ:٤٩.

ليقول لهم : يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا: أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : (اذهبوا فأنتم الطلقاء[١])[٢]، وجاء في المسند، أبو عبيدة قال: بلغني أن رسول الله -ﷺ- دخل الكعبة عام الفتح فصلى فيها ركعتين ثم خرج وقد أفضى بالناس حول الكعبة، فأخذ بعضادتي[٣] الباب فقال: «الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ماذا تقولون وماذا تظنون» قالوا: نقول خيراً، ونظن خيراً، أخ كريم، قدرت فأسجح[٤]، قال: «وأنا أقول كما قال أخي يوسف: {لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين}[٥]، وهذا الموقف الكريم الذي يليق بمن أرسله الله رحمة للعالمين، حيث تتجلى فيه الرحمة في أبهى صورها.

(١) ـ هم الذين خلى عنهم يوم الفتح وأطلقهم فلم يسترقهم، وأحدهم طليق، فعيل بمعنى مفعول، وهو الأسير إذا أطلق سبيله. ابن الأثير. كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر. ج٣. ص١٣٦ .

(٢)- رواه ابن هشام. السيرة النبوية. ج٣. ص٤١٢ . وابن كثير. ينظر ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل. البداية والنهاية مبدأ الخليقة وقصص الأنبياء. حققه وخرج أحاديثه محيي الدين ديب مستو. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. دولة قطر. ١٤٣٦ هـ-٢٠١٥م. ج٤. ص٥٥٣. قال عنه الألباني أنه ضعيف. ينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة. دار المعارف. الرياض. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى. ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م. ج٣. ص٣٠٧-٣٠٨.

(٣) ـ يقال عضدت الشجر أعضده عضداً والعضد بالتحريك: المعضود. ابن الأثير. كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر. ج٣. ص٢٥١.

(٤) ـ أي قدرت فسهل وأحسن العفو، وهو مثل سائر. ينظر ابن الأثير. كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر. ج٢. ص٣٤٢.

(٥) ـ الربيع. الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري. الجامع الصحيح. ترتيب أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوا رجلاني. ج٢. ص١٠٨. ر٤١٩. مكتبة مسقط. مسقط. سلطنة عمان. ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م.

كما أن هذا الفتح العظيم أدى إلى تحطيم وإزالة رهبة قريش من قلوب قبائل العرب، التي كانت تؤخر إسلامها لترى ما يؤول إليه حال قريش من نصر أو هزيمة، إذ يبدو أن المكانة السياسية والقبلية والاقتصادية التي تشكلها مكة لدى قبائل العرب كانت عاملاً أساسيًا في تأخير دخول تلك القبائل إلى الإسلام، إما خوفًا من قريش لقوتها وسطوتها، أو تقديراً واحترامًا لها لمكانتها الرفيعة، لهذا رأت عدم تجاوزها حتى لا تنفرد عنها بقرار مصيري يفقدها دعم قريش، ولما رأى العرب قوة المسلمين سارعوا إلى الدخول في الإسلام أفواجًا، إذ أيقنوا أن دين الله ماض لا محالة، ولا يمكن لقوة بشرية منع انتشاره، فاندكت أمام ذلك كل العقبات.

وقد استفادت الدعوة الإسلامية من قوة قريش بعد ذلك، ومهد هذا الفتح للقضاء على البدو الذين كانوا يهددون المدينة، وإخضاع مسيحي نجران وقبائل اليمن ونجد وأمراء مهرة وعمان، ولم يأت عام ١٠ هـ (٦٣١) حتى كانت بلاد العرب خاضعة له، وبذلك دالت دولة الأصنام واستؤصلت الوثنية[١] ،وكان هذا الفتح بداية سلسلة من الانتصارات حققها المسلمون بعد ذلك.

وللأهمية التي يكتسيها فتح مكة، فقد أكد العلماء حرص النبي -ﷺ-على تجنب القتال مع قريش عند دخول مكة، يقول البوطي : " ولعل الحكمة الإلهية شاءت أن تفتح مكة بدون قتال يذكر، وأن يدين أهلها لرسول الله -ﷺ- ، وهم الذين أخرجوه وآذوه وقاتلوه، بدون أي جهد أو مغامرة من المسلمين، فتهيأت أسباب إسلام أبي سفيان قبل

(١) - حسن. إبراهيم حسن. تاريخ الإسلام السياسي، والديني، والثقافي، والاجتماعي. دار الجيل. بيروت. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة الرابعة عشرة ١١٦ هـ-١٩٩٦م. الجزء الأول. الدولة العربية في الشرق، ومصر، والمغرب، والأندلس. ص١١٥.

غيره، وذلك في اللقاء الذي تم بينه وبين رسول الله -ﷺ- ، عند مر الظهران، كي يعود إلى قومه في مكة، فينتزع من رؤوسهم فكرة الحرب والقتال، ويهيئ جو مكة لسلم يكون مآله دفن حياة الجاهلية والشرك وبزوغ شمس التوحيد والإسلام" [(١)].

الشبهة الثانية: أن النبي صلى عليه وسلم كان يحرص على فتح مكة لزيادة مكانته وقوته.

يقول وات: " ولو أصبحت مكة خاضعة لسلطته لزاد اعتباره وقوته زيادة كبيرة، وكانت مكانته ضعيفة بدون مكة، كما كان محمد بحاجة إلى كفاءات المكيين العسكرية والإدارية"[(٢)].

الرد على الشبهة:

يعود وات إلى أسلوبه القديم في اعتبار فتح مكة الواقعة الي يسعى النبي -ﷺ-من خلالها إلى رفع مكانته الخاصة، والاعتماد على القرشيين في تأسيس وتوسعة دولته الجديدة، متناسيًا أن الهدف من فتح مكة هو الهدف العام الذي تشترك فيه جميع غزوات النبي -ﷺ-وسراياه، وهو دعوة الناس إلى الإسلام ، ومنع الفتنة، وإزالة كافة الحواجز التي تصدهم عن دين الله رب العالمين، فعَنِ عبدالله بن عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ-قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّها، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ)[(٣)].

وقد أكد كارين على الغاية التي يسعى النبي -ﷺ-تحقيقها بفتح مكة مخالفًا في ذلك

(١) البوطي. محمد سعيد رمضان. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة. ص٤٠١-٤٠٢.

(٢) - وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص٩٧.

(٣) - مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم. دار الكتب العلمية. بيروت. لينان. الطبعة الأولى. ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م. كتاب الإيمان. باب ٨. رح ٣٦.

رأي وات، فيقول: " فوقف أمام بيت الله وطلب منهم أن يتقبلوا الأوضاع الجديدة، وعمادها وحدة الأمة، وأن يطرحوا ما أورثتهم الوثنية من فخر وخيلاء وإحساس بالاستغناء بالنفس عن الله، فليس من شأن ذلك سوى إحداث الفرقة والظلم " [١].

فجاءت هذه الغاية متناغمة مع تحركات النبي -ﷺ-في كافة غزواته، التي تهدف إلى دعوة الناس إلى دين الله، وتحقيق الطمأنينة في ظل قيم الدين ومبادئه.

الشبهة الثالثة: أن النبي -ﷺ-سعى إلى توحيد شبه الجزيرة والتوسع به نحو الخارج، مستعيناً بالقرشيين الذين حطمهم وأخافهم.

يقول وات:"يعمل على توحيد شبه الجزيرة العربية والتوسع به نحو الخارج، ويقوم فيه القرشيون بدور جديد لا يقل عن دورهم القديم كتجار، فلقد حطمهم وتحداهم، ثم داعبهم وأخافهم، والآن خضعوا له جميعا حتى أكبر شخص فيهم"[٢].

لقد كان هدف النبي -ﷺ-نشر الدعوة الإسلامية إلى أقاصي البلاد، وتمثل مكة نقطة تحول في مشروع الفتح الإسلامي، فجاء فتحها استكمالاً له، ولم تكن هناك نية بالانتقام من قريش ومن معها كما يدعي وات، بدليل أن النبي -ﷺ-دخلها سلمًا بدون قتال، إلا ما كان من جهة القائد المسلم خالد بن الوليد ﷺ، إذ حاول بعضُ رجال قريش بقيادة عكرمة بن أبي جهل التصديَ للمسلمين، فقاتلهم خالدٌ وقَتَلَ منهم اثني عشر رجلاً، وفرَّ الباقون منهم، وقُتل من المسلمين رجلان اثنان. ودخل النبي مكة مهللاً ومكبراً فاتحًا منتصراً عزيزاً دائمًا أبداً، ومن حوله المهاجرين الذين طردوا بالأمس من ديارهم وأهليهم، وحوله الأنصار الذي

(١) - أرمسترونج. سيرة النبي محمد. ص٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) - وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص١٠٤.

استقبلوه خير استقبال فكانوا نعم الأصحاب هم وإخوانهم المهاجرين، وجاء بلال ذلك الحبشي الأسود الذي عذبه أمية بن خلف من قبل أشد عذاب، وصعد على البيت الحرام وأعلن انتصار الحق وهزيمة الباطل وكبر وأذن وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[1]، وبذلك أعلن ولادة عهد جديد لا مكان فيه للوثنية، والأمر كله لله ﷻ.

ومما يدل أيضاً أن النبي -ﷺ-لم يكن لديه نية بتدمير قريش، أن أهلُ مكة نالوا بعد الفتح عفوًا عامًّا رغم أنواع الأذى التي ألحقوها بالرسول -ﷺ-وأصحابه ودعوته، مع قدرة الجيش الإسلامي على إبادتهم، وقد جاء إعلان العفو عنهم وهم مجتمعون قرب الكعبة ينتظرون حكم الرسول محمد -ﷺ- فيهم، فقد عفا عنهم -ﷺ- ، وترتب على هذا العفو العام حفظ الأنفس من القتل أو السبي، وإبقاء الأموال المنقولة والأراضي بيد أصحابها، وعدم فرض الخراج عليها، فلم تُعامل مكة كما عوملت المناطق الأخرى المفتوحة عنوة؛ لقدسيتها وحرمتها عند المسلمين، فهم يؤمنون أنها دار النسك، ومتعبد الخلق، وحرم رب العالمين .

لقد تعامل النبي -ﷺ-مع أهل مكة، رغم قدرته عليهم معاملة تفوق تصور وات في غزوات النبي -ﷺ- ، إذ كان الهدي النبوي الموجه الأساسي لكل المواقف التي يتخذها النبي -ﷺ- ، والتزم أصحابه بهذا النهج في كل مواقفهم، وقد عبر الندوي عن ذلك التصور، فقال : لقد وضع محمد -ﷺ-مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب وقوى ومواهب، وأصاب الجاهلية في مقتلها أو صميمها، فأصمى رميته، وأرغم العالم العنيد بحول الله على أن ينحو نحواً جديداً ويفتح عهداً سعيداً ذلك هو

(١) - ابن هشام. السيرة النبوية. ج٣. ص٤١٣

العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ "[١].

يخالف كارين ما ذهب إليه وات، إذ يؤكد أن النبي -ﷺ- لم يكن ينوي تدمير أهل مكة، فيقول: " لم يكن هدفه من القدوم إلى مكة هو التنكيل بقريش، بل إلغاء دين الشرك "، ويصور مشاعر الرحمة التي تعمر قلب النبي -ﷺ-في هذا الموقف، فيقول: " لقد دأبنا في الغرب، على مر القرون، على أن نتصور محمداً في صورة الرجل الجهم، والمحارب القاسي، والسياسي البارد، ولكنه رجلاً يتميز بأقصى درجات الشفقة ورقة المشاعر "[٢] .

وخالف هردر ما ادعاه وات في معاملة النبي -ﷺ- ، إذ يثني عليه فيصفه بصاحب عقيدة التوحيد، ويشيد بطريقة عبادته لله الواحد الصمد عن طريق الوضوء والصلاة وفعل الخير، كما يثني على المسلمين حرصهم على التطهر والقيام بالصلاة والرأفة والإحسان والرضى بقضاء الله، ويضيف: كلها أمور يفرضها القرآن الكريم وتضفي على المؤمنين الطمأنينة ووحدة الطبع[٣].

وقد نسي وات أو تناسى أن يقرأ تاريخ الغرب، لينظر كيف تعامل الساسة والقيادات الأوربية حينما ظفروا بخصومهم، وامتدت جرائمهم إلى عصرنا هذا، ويكفي أن نذكره بما فعل المنتصرون في الحرب العالمية الثانية بزعماء ألمانيا المهزومين، ففي محاكمة نورمبرج التي بدأت في العشرين من نوفمبر ١٩٤٥م وانتهت في سبتمبر ١٩٤٦م حكم بالإعدام شنقًا

(١) – الندوي. أبو الحسن. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. مكتبة الإيمان.. المنصورة. القاهرة. ص١٠٤.

(٢)– أرمسترونج. سيرة النبي محمد. ص٣٤٣ – ٣٦٠.

(٣) – مومزن. كاترينا. جوته والعالم العربي. ترجمة عدنان عباس علي. مراجعة عبد الغفار مكاوي. عالم المعرفة. الكويت. ١٩٧٨م. ص١٤٣ – ١٤٤.

على أكبر شخصيات في ألمانيا[١]، وليقرأ قبل ذلك ما فعلته جيوش الأسبان بعد أن استردت الأندلس من القتل والتشريد، رغم العهود التي قطعوها للمسلمين، أو الدماء والقتل الذي قام به جيش نابليون حينما غزا مصر في حملته المشؤومة عام ١٧٩٨م وتدنيسه لجامع الأزهر الشريف[٢]،

وكما حفظ لنا التاريخ كثيراً مما ارتكبته الحملات الاستعمارية الغربية من المجازر في حق الشعوب في العالم المتحضر، ولم يدون وات شيئًا عن تلك الجرائم ، وقد امتدت أعمال القتل التي تقوم بها أيادي الغرب الآثمة دون توقف، إذ أن الذاكرة الإنسانية تحتفظ بسجل حافل للأعمال الإجرامية والإبادة الجماعية التي ترتكب على أيدي الصهيونية العالمية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل ، التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من المدنيين، خاصة الأطفال والنساء، دون أن يحرك العالم المتمدن ساكنًا، أو هيئة الأمم المتحدة، أو مجلس الأمن، أو أي منظمة عالمية تعنى بحقوق البشر، فكان الأولى والأجدر بوات أن يشير إلى أفعال الغرب الإجرامية، ويقارنها بالطريقة التي سلكها النبي -ﷺ- في تعامله مع أهل مكة، ولا مقارنة في الحقيقة بين نبي الرحمة القرآن دستوره، وبين قيادات مجرمة، السياسة والمصالح الدنيوية هي أقصى غاياتها.

(١) - بدوي. عبد الرحمن. دفاع عن محمد -ﷺ- ضد المنتقصين من قدره، ترجمة كمال جاد الله. الدار العالمية. ص١٥٥ - ١٥٦.

(٢) - الزيني. محمد عبد الرحيم. المستشرقون والرسول ﷺ. دار عالم الثقافة. القاهرة. جمهورية مصر العربية. الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م. ص٣٣٢ - ٣٣٣.

الشبهة الرابعة وصف النبي -ﷺ-بأنه نبي محتقر يدخل مكة دخول الفاتحين.

يقول وات:" ولو لم نكن واثقين من تاريخية هذه الحوادث لكان القليلون يعتقدون بأن نبيا مكيا محتقرا يدخل مدينته دخول الفاتحين المنتصرين"(١).

الرد على الشبهة:

لقد جاء وات بافتراء عظيم بوصفه هذا لنبي الأمة ورسول الهدى، فكيف يكون حقيراً من كان متحليًا بكل خلق كريم، مبتعداً عن كل وصف ذميم، يُضرب به المثل في حسن وعظيم الخلق، وقد عُرِفَ واشتهر في قومه من صغره وشبابه وقبل بعثته بالأخلاق الفاضلة، والشمائل الكريمة، والصفات العذبة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلقًا، وأصدقهم حديثًا، وأعفهم نفسًا، وأوفاهم عهداً، وأشهرهم أمانة، حتى سماه قومه: "الصادق الأمين". وقد أثنى الله ﷻ عليه، ونوّه بذكر ما يتحلى به من جميل الصفات والأخلاق، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢)، فكل خلق محمود يليق بالإنسان فله صلوات الله وسلامه عليه منه القسط الأكبر، والحظ الأوفر، وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه، وأبعدهم عنه، شهد له بذلك العدو والصديق .

كما يستدل على صدق ونبوة النبي -ﷺ-من أم المؤمنين خديجة بما عرفته من كمال أخلاقه، وعظيمِ خلاله، فقالت له، -بعد أن رجع إليها من غار حراء خائفًا بعد نزول جبريل عليه السلام بالوحي عليه-: "كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَّل (الضعيف)، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"(٣)، وقد قالت خديجة

(١) – وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص١٠٤.

(٢) – القلم: ٤.

(٣) – البوطي. فقه السيرة النبوية. ص٩٥ – ٩٦.

ﷺ ذلك اعتماداً على عقلها السليم، وفطرتها الصحيحة، ومعرفتها بخُلُق رسول الله -ﷺ- .

وكيف يكون محتقراً من أخرج الأمم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فقبل بعثته -ﷺ- كانت جزيرة العرب منغمسة في هذه الوثنية من عبادة الحجر والشجر، مع وجود بقايا قليلة من أهل الكتاب اعتراهم ما اعترى أهل الكتاب في ذلك العصر من خلاف وجدل حول حقائق العقيدة، وزاد العرب على وثنيتهم تفككهم السياسي ولم يختلفوا كثيرًا في تحللهم الاجتماعي عمن حولهم من أمم فارس والروم والحبشة، إلا أن مظاهر هذا التحلل ربما اختلفت بشكل أو آخر من وأد البنات وكثرة الحروب والسلب والنهب والعصبية القبلية البغيضة، التي طالما أشعلت الحروب وقطعت الأواصر فضلًا عن الطمع والخمر والقمار والمتعة المحرمة وتسخير الأقوياء للضعفاء.

وهل يكون محتقراً من خاطبه رب البرية بقوله: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾[1].

وهل يكون محتقراً من جاء برسالة سماوية غير بها وجه العالم، يقول الزيني: " الرسول -ﷺ- كان يحمل رسالة سماوية عالمية اشتاق لها ضمير الإنسان النقي، وهتف بسموها ملايين البشر وتردد صداها في آفاق الكون، منذ أن انقطعت الرسالات بموت السيد المسيح، لأن مبادئ الإسلام كانت ثورة على الاستعلاء الطبقي، وعلى طواغيت الأرض والمستبدين، وكانت ثورة على التعصب في كل صوره، التعصب للجنس أو اللون، أو التعصب العنصري الذي عانت منه البشرية عصوراً متعاقبة"[2] .

(١) - الضحى: ٣-٨.

(٢) - الزيني. محمد عبد الرحيم. المستشرقون والرسول ﷺ. ص١.

الشبهة الخامسة: يصف النبي صلى الله عليه بالزعيم البدوي.

يقول وات:" كانت معركة حنين الاصطدام الرئيسي خلال حياة محمد، بين المسلمين والقبائل البدوية، وكان جمع ٢٠٠٠٠ رجل، يعتبر مأثرة لزعيم بدوي"(١)

الرد على الشبهة:

إن وصف وات النبي -ﷺ-له دلالة، فهو يشير إلى أن البداوة في عرفه مقرونة بالتخلف والفقر والهمجية، وهذا تصـور خاطئ من جهة، فإن من المجتمعات البدوية خرج العلماء، كما أن النبي -ﷺ-لم يقض في بادية بني سعد عدا فترة الرضاعة، وقضى بقية حياته في مكة المكرمة والمدينة، ثم أنه -ﷺ- نبي مرسل قد طهره الله من الأرجاس والدنايا.

فالنبي محمد -ﷺ-أكرم الخلق، وسـيد البشـر، وأحب خلق الله إلى الله ، له المقام المحمود، والحوض المورود، اصـطفاه الله من بين ولد آدم كلهم، واختاره من خير العرب أعراقـًا وأنسابـًا وأحسابـًا، مولدُه في أعظم حاضرةٍ من حواضر العرب يومها، في مكة المكرمة ، خير بقاع الأرض، وأحب أرض الله إلى الله، سـماها القرآن الكريم " أم القرى " لعظيم مكانتها في جزيرة العرب، بل في الأرض كلها، قال الله ﷻ: (وَهَـــذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (٢) .

وقد أورثت هذه المكانة الجليلة للنبي محمد -ﷺ-في نفوس أصـحابه من الإكبار والإجلال والتقدير ما يبلغ الغاية والكمال، وتجسـد ذلك من خلال التزام الصـحابة المطلق بهدي نبيهم -ﷺ- ، وهذا يتناف ولا ريب مع وصف وات الذي تكذبه هذه الحقائق.

(١) - وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص١٠٨.

(٢) - الأنعام: ٩٢.

وكيف يكون النبي -ﷺ- بدويًا غير متحضر لا يعي شيئًا عن الحياة والسياسة، ولا يدبر أمراً، وقد تمكن في غضون فترة وجيزة من أن ينقذ أمة من التيه والضلال ويجعلها خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١) .

كما امتلك النبي صل الله عليه وسلم قدرات مختلفة لا تتوافق وحياة البداوة، ومن هنا فنبينا الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم إن كان جاء لإصلاح العالم في فترة دقيقة من الزمن فإنه لم يقدم نفسه كمصلح اجتماعي ولا كقائد سياسي يسعى للتغيير والتطوير، إنما قدم نفسه كنبي وخاتم للمرسلين، فأي عبقرية تمتع بها في مجالات السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد إنما هي عبقرية الدعوة المنزلة من عند الله ﷻ، ولا بد من ملاحظة هذه الحقيقة بشكل موضوعي ودقيق، لأن السائد الذي جرى عليها الكثيرون من الكتاب المستشرقين ومن سار على غيهم في عصرنا الحديث هي مدح النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره قائدًا سياسيًا أو عسكريًا عظيمًا أو مصلحًا اجتماعيًا نابغًا، وذلك كله بعيد عن حقيقة، لأن الله بعثه نبيًا ورسولًا للعالمين كافة ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام .

ونجد أن وات الذي وصف النبي -ﷺ- بالبداوة يقع في تناقض واضح، إذ يشيد بشخصية النبي -ﷺ- وبحكمته وسياسته، وقد تكرر ذلك في مواضع متعددة، فنقرأ عنه قوله: " انه رجل سياسي حكيم.. وقد استفادت دبلوماسية محمد، وقوله : كان المسلمون منظمين تنظيمًا حسنًا، وقوله : كما أن بصيرة محمد ودبلوماسيته ومهارته الإدارية لعبت

(١) - آل عمران : ١١٠.

دوراً كبيراً في نجاحة، وقوله : ونحن لا يسعنا في كل ذلك إلا أن نعجب بإيمان محمد بقضيته، ببعد نظره وحكمته، وبينما كانت أمته لا تزال صغيرة، تكرس كل قواها لكي لا يقضى عليها أعداؤها، إذا به يعمل لتوحيد شبه الجزيرة العربية والتوسع بها نحو الخارج[١] ، وغيرها من العبارات الدالة على الإعجاب بشخصية النبي صلى عليه وسلم، وهو ما يؤكد أن حكم وات قائم على أساس الحقد والكراهية والتشكيك القصد منها هو الانتقاص من شخص النبي -ﷺ- ، ولكن الحقائق هي التي تكشف افتراءاتهم، لأن المستشرقين قد عجزوا عن التوصل إلى نتائج موضوعية في دراساتهم الإسلامية وإلى عدم قدرتهم على تمثيل الروح الشرقية، إذ يقول الكبيسي : " إن الدراسات الاستشراقية في معظمها تظهر كما لو أن الإسلام وتاريخه لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته "[٢]، ويقول محمد قطب متهمًا بوضع دراساتهم العلمية في سبيل تشويه الإسلام : " ويا له من جهد علمي مهمته الأولى تحريف الكلم عن مواضعه بالنسية للإسلام، وتشويه صوره بكل الوسائل، والتشكيك في كل حقائقه، وإثارة الشبهات حول كل جزئية من جزئياته بما يخرج منه المسلم الذي يتعاطاه، بأنه لا هو دين يستحق أن يعتنقه، ولا تاريخه يستحق أن يعتز به، ولا نظامه نظام يصلح للحياة في الوقت الحاضر، ولا حضارته كانت أصيلة، ولا كان له دور في تاريخ البشرية"[٣] ، فالأحكام المسبقة، وعدم التجرد من

(١)- وات. مونتجومري. محمد في المدينة. ص ٥٥ – ١٠٤.

(٢) – الكبيسي. فاضل محمد عود. فيليب حتى. عصر النبوة والخلافة الراشدة دراسة نقدية. دار الفرقا. الأردن. الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥م. ص٦٥.

(٣) _ قطب. محمد. من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر في أمور الدين – في التاريخ – في الاقتصاد – في الأدب. دار الشروق. ص١١٣.

الأهواء، مع ما يرافقها من الكراهية جعلت تلك الأحكام ظالمة ومتجنية على السيرة النبوية.

وتكاد تتفق آراء المستشرقين حول المهارات والسياسات التي يتمتع بها النبي -ﷺ-، يقول كارين عنه بعد الانتصارات التي حققها على قبائل العرب : " كما أنه برهن على أنه أقوى شخصية في بلاد العرب، ووضع نهاية سريعة وحاسمة لصراع دموي استمر سنوات "[1]، كما وصفه العقاد بالعبقرية حينما أطلق عنوان كتابه (عبقرية محمد) ليقينه التام أن النبي -ﷺ-كان يتحلى بصفات عظيمة ويمتلك قدرات واسعة، ما يعني أن وصف وات للنبي -ﷺ-بالبداوة يفتقد إلى الدليل التاريخي، إذ تبرز وقائع السيرة النبوية وآراء العلماء المسلمين، وأقرانه من المستشرقين أن رأيه محض افتراء بعيد عن عين الحقيقة.

ومما لاريب فيه أن النبي -ﷺ-هو أعلم من أي عبقري وأجل من أي زعيم وأعظم من أي مصلح، لقد جمع من الصفات خيرها وأفضلها وأعدلها، ولكن قبل ذلك كله فهو نبي يوحى إليه ورسول يعرف عن ربه، وهذا ما لا يكتسب ولا ينال لا بالعبقرية الفذة ولا بالفكر المبدع ولا بالمهارات، فهناك فرق كبير بين العبقري المصلح وبين النبي المرسل، فالنبوة تشريفٌ سامٍ، وتكليفٌ عال، ومنزلةٌ كُبرى، وفضلٌ عظيمٌ يهبه الله تعالى لمن ارتضاهم من عباده، قال تعالى : ﴿ أولئكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴾[2].

(١) - كارين. سيرة النبي محمد. ص٣١٠.

(٢) - مريم: ٥٨.

الخاتمـــة

وفي الختام نذكر جملة من النتائج التي خلص إليها البحث منها:

١ -أن السيرة النبوية العطرة وما تحمله أحداثها العظام من فتوحات وبشائر لعز المسلمين، وما تضمنته من القيم النبيلة لها أثر واضح على كتابات بعض المستشرقين الحاقدين، جانبوا الحق، وأطلقوا أكاذيبهم لتشويه السيرة النبوية.

٢ - لقد طالت أكاذيب المستشرقين كل ميادين السيرة فنالها التشويه المتعمد، وركزت على ميدان الغزوات النبوية.

٣-يعد المستشرق وات مونتجومري من ضمن أشد المستشرقين الذين حرفوا الغزوات النبوية وشوهوا حروب النبي -ﷺ-، وفرغوها من مضامينها التي قامت من أجلها قصد حرف غاياتها الأساسية.

٤ - قدم وات عن صلح الحديبية معلومات مغلوطة انتقص فيها النبي -ﷺ-كحربه في الأشهر الحرم، وهذا يؤكد على بعده عن المنهجية العلمية السليمة التي يدعي التزامه بها.

٥-حفل فتح مكة بجملة من الافتراءات التي قدمها وات عن شخص النبي -ﷺ- ، مثل الحقارة والبداوة، وهو ما يؤكد على الحقد الدفين الذي يكنه وات لشخص النبي -ﷺ.

توصيات:

- يوصي الباحث بأهمية قيام دراسات أكاديمية واسعة عن ما خلفه المستشرقون عن الغزوات النبوية، والوقوف على الافتراءات التي أطلقها المستشرقون والرد عليها.

- كما يوصي بضرورة تدريس علم الاستشراق في الجامعات الإسلامية، وذلك لتمكين الأجيال الاطلاع على الدراسات الاستشراقية.

المراجـــع

القرآن الكريم.

- ا. ج آربري: المستشرقون البريطانيون تعريب محمد الدسوقي النويهي. (لندن: وليم كولينز، ١٩٤٦).
- ابن الأثير. علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري. الكامل في التاريخ. اعتنى به أبو صهيب الكرمي. بيت الأفكار الدولية. ص٢٤٤، ابن هشام. السيرة النبوية، ج٣.
- ابن الأثير. المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري. كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق طاهر أحمد الزاوي-محمود محمد الظاحي. المكتبة العلمية. بيروت ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م. ج١.
- ابن عاشور. محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر. الجزء السادس والعشرون.
- ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل. البداية والنهاية مبدأ الخليقة وقصص الأنبياء. إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. دولة قطر.١٤٣٦ هـ-٢٠١٥م. الجزء الرابع
- ابن منظور. لسان العرب. دار المعارف. مادة شرق.
- ابن هشام. السيرة النبوية. حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وآخرون. مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر. ١٩٣٦م. ج٣.
- أرمسترونج. كارين. سيرة النبي محمد. ترجمة فاطمة نصر، محمد عناني. كتاب سطور (١). الطبعة الثانية. ١٩٩٨م.
- البخاري. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي. البشرى. كراتشي. باكستان. ١٤٣٧ هـ-٢٠١٦م. كتاب الشروط. باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب.

- بدوي. عبد الرحمن. دفاع عن محمد -ﷺ-ضد المنتقصين من قدره، ترجمة كمال جاد الله. الدار العالمية.
- بروكلمان. كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية. نقلها إلى العربية نبيه أمين، منير البعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. الطبعة الخامسة. ١٩٦٨م
- البوطي. محمد سعيد رمضان. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة. دار الفكر المعاصر. بيروت لبنان. الطبعة العاشرة ١٤١١ هـ-١٩٩١م.
- جولد تسيهر. أجناس. العقيدة والشريعة في الإسلام. تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية. نقله إلى العربية وعلق عليه محمد يوسف وآخرون. دار الكتاب المصري. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٩٤٦م.
- حسن. إبراهيم حسن. تاريخ الإسلام السياسي، والديني، والثقافي والاجتماعي. دار الجيل. بيروت. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة الرابعة عشرة ١١٦ هـ-١٩٩٦م. الجزء الأول. الدولة العربية في الشرق، ومصر والمغرب والأندلس.
- الحلبي نور الدين. السيرة الحلبية.
- حنبل. أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. حققه وأخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ-١٩٩٥م.
- دوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السابعة، ٢٠٠٥، ص ١٢٠ .
- رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). ترجمة مصطفى ماهر (القاهرة: دار الكتاب العربي).

- زقزوق. محمود حمدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٧.
- زناتي. أنور محمود. زيارة جديدة للاستراق مع دراسة للرؤية الاستشراقية المنصفة للرسول -ﷺ- . مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. جمهورية مصر العربية. ٢٠٠٦م.
- الزيني. محمد عبد الرحيم. المستشرقون والرسول -ﷺ- . دار عالم الثقافة. القاهرة. جمهورية مصر العربية. الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م.
- ساسي. سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج١، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.
- السهيلي. عبد الرحمن. الروض الأنف في شرح السبرة النبوية لابن هشام، ومعه السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق عبد الرحمن الوكيل. دار الكتب الحديثة. الجزء الرابع.
- السيد محمد الشاهد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، الطبعة ٢٢، السنة السادسة، ١٩٩٤م.
- الشمري. ماهر جواد كاظم. النبي محمد -ﷺ-في مؤلفات مونتجومري وات عن السيرة النبوية دراسة تحليلية مقارنة. المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية. العتبة العباسية المقدسة. العراق. الطبعة الأولىٰ ١٤٤٠ هـ-٢٠١٩م.
- الطبري. تفسير الطبري. من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.المجلد الأول. الفاتحة – البقرة.
- الصابوني. محمد علي. صفوة التفاسير. دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م ٣/ ٢٠١-٢٠٢.
- الطبري. محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. تاريخ الطبري. اعتنى به أبو صهيب الكرمي. بيت الأفكار العالمية. عمان. الأردن.

- العقاد. عباس محمود. عبقرية محمد. نهضة مصر.
- العقيقي. نجيب. المستشرقون. موسوعة تراث العرب، مع تراجم دار المعارف بمصر. ١٩٦٤المســـتشـــرقين ودراســاتهم عنه، منذ ألف عام حتى اليوم المعارف بمصـــر. ١٩٦٤م. ج٢.
- غراب. أحمد عبد الحميد. رؤية إسـلامية للاسـتشـراق. سـلسـلة تصـدر عن المنتدى الإسلامي.
- الغزالي. محمد. فقه السيرة. دار الكتب العلمية. الطبعة السادسة ١٩٦٥م.
- فلهوزن. يوليوس. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسـلام إلى نهاية الدولة الأموية. نقله عن الألمانية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة. راجع الترجمة الدكتور حسين مؤنس. نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. الطبعة الثانية. ١٩٦٨م.
- القرطبي. محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضـــمنه من السـنة وآي القرآن. تحقيق عبدالله بن عبد المحسـن التركي. مؤسـسـة الرسـالة. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م. الجزء التاسع عشر.
- قطب. محمد. من قضـايا الفكر الإسـلامي المعاصـر في أمور الدين – في التاريخ – في الاقتصاد – في الأدب. دار الشروق.
- الكبيسي. فاضل محمد عود. فيليب حتى. عصر النبوة والخلافة الراشدة دراسة نقدية. دار الفرقان. الأردن. الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.
- المباركفوري. صـفي الرحمن. الرحيق المختوم. بحث في السـيرة النبوية على صـاحبها أفضـل الصـلاة والسـلام. وزارة الأوقاف والشـئون الإسـلامية. دولة قطر.١٤٢٨ هـــ-٢٠٠٧م.

- مجمع اللغة العربية. الإدارة العامة للمعجمات وإحياء البحوث المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. جمهورية مصر العربية. الطبعة الرابعة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م. مادة شرق.
- مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم. دار الكتب العلمية. بيروت. لينان. الطبعة الأولى. ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م. كتاب الإيمان.
- المطعني. عبد العظيم إبراهيم محمد. افتراءات المستشرقين على الإسلام. مكتبة وهبة. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
- مكسيم. رودنسون: صورة العالم الإسلامي في أوربا، دار الطليعة، ١٩٧٠.
- مومزن. كاترينا. جوته والعالم العربي. ترجمة عدنان عباس علي. مراجعة عبد الغفار مكاوي. عالم المعرفة. الكويت. ١٩٧٨م.
- الندوي. أبو الحسن. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. مكتبة الإيمان.. المنصورة. القاهرة.
- نظر. الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٤.
- النعيم. عبدالله الأمين. الاستشراق في السيرة النبوية. دراسة تاريخية لآراء وات - بروكلمان - فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية. دار الفكر. دمشق. الطبعة الأولى.١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م. ص٢٤٣-٢٤٤.المعهد العالمي. القاهرة.
- هيكل. محمد حسين. حياة محمد. دار المعارف. القاهرة. الطبعة الرابعة عشرة.
- وات. مونتجومري. محمد في المدينة. تعريب شعبان بركات. منشورات المكتبة العصرية. بيروت.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص.....١٧٠٩
المقدمـــة ١٧١٢
المبحث الأول التعريف بالاستشراق والمستشرقين وأهم الشبهات التي أثاروها عن الغزوات النبوية. ١٧١٦
المطلب الأول: الاستشراق لغة.....١٧١٦
المطلب الثاني: الاستشراق اصطلاحا.....١٧١٦
المطلب الثالث: تعريف المستشرق ١٧١٨
المطلب الرابع: أهم شبهات وآراء المستشرقين حول الغزوات النبوية.....١٧١٩
الشبهة الأولى: أن الغزوات النبوية ما هي إلا وسيلة للحصول على الزعامة والطموح السياسي. ١٧١٩
الشبهة الثانية: أن الغزوات النبوية مع اليهود سببها الحصول على أموالهم وأراضيهم ومنحها للمهاجرين والرد عليها. ١٧٢٠
المبحث الثاني التعريف بمونتجومري وات والشبهات التي أثارها عن صلح الحديبية والرد عليه. ١٧٢٤
المطلب الأول: التعريف بمونتجومري وات وأعماله ومنهجه ١٧٢٤
المطلب الثاني: الشبهات التي أثارها وات عن صلح الحديبية والرد عليها:.....١٧٢٧
الشبهة الأولى: أن النبي -ﷺ-أصابه الحزن حينما لم يتحقق وعد الله بالرؤيا التي رآها. ١٧٢٨

الشبهة الثانية: يزعم أن النبي -ﷺ- كان ينوي قتال أهل مكة. ١٧٣٢
الشبهة الثالثة: أن النبي -ﷺ- يبيح القتال في الأشهر الحرم. ١٧٣٦
الشبهة الرابعة: أن النبي -ﷺ- تحايل على أهل مكة لأنه استاء من بعض القبائل التي لم تشاركه رحلة العمرة. ١٧٣٩
الشبهة الخامسة: أن النبي -ﷺ- شعر بالرضا لأنه تم الاعتراف بمكانته الخاصة ١٧٤٤
المبحث الثالث للشبهات التي أثارها وات عن فتح مكة ١٧٤٧
الشبهة الأولى: لم يكن فتح مكة غاية بذاته، بل الهدف كان توحيد العرب تحت سلطته والتوسع بهم نحو الشمال. ١٧٤٧
الشبهة الثانية: أن النبي -ﷺ- كان يحرص على فتح مكة لزيادة مكانته وقوته.. ١٧٥٠
الشبهة الثالثة: أن النبي -ﷺ- سعى إلى توحيد شبه الجزيرة والتوسع به نحو الخارج، مستعينًا بالقرشيين الذين حطمهم وأخافهم. ١٧٥١
الشبهة الرابعة وصف النبي -ﷺ- بأنه نبي محتقر يدخل مكة دخول الفاتحين.. ١٧٥٥
الشبهة الخامسة: يصف النبي -ﷺ- بالزعيم البدوي. ١٧٥٧
الخاتمـــة ١٧٦١
المراجـــع ١٧٦٢
فهرس موضوعات البحث ١٧٦٧